البوصيري

شاهد على العصر المملوكي

الأستاذ الدكتور

نبيل خالد أبو علي

الطبعة الرابعة

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

الطبعة الرابعة
دار المقداد للطباعة
غزة - م. الشاطئ ت ٢٨٢١٣٥٨

بسم الله الرحمن الرحيم

أما قبل :

يحاول هذا البحث توجيه عناية الدارسين إلى العصر المظلوم ، الذي لفه الغموض وأصابته يد المؤامرة ، فاتهم أدبه بالضعف والانحدار ، بالرغم من أهمية الدور الذي قام به الشعراء والأدباء ، سواء على صعيد حفز الهمم وتوحيد الأمة التصدي للصليبيين وحملاتهم ، والتتار وزحفهم الهمجي المدمر على البلاد الإسلامية ، أو على صعيد تعزيز صمود الجبهة الداخلية ، وتحريض الحكام على تخليصها من الفاسدين ، الذين يتسلطون على رقاب الناس وأقواتهم .

ولما كانت البيئة الإسلامية اليوم تعيش ظروفاً مشابهة لتلك الظروف التي عاشها العالم الإسلامي في العصرين الأيوبي والمملوكي ، حيث نرى تكالب أعداء الأمة الإسلامية من الصهاينة والصليبيين الجدد على البلاد الإسلامية ، كما يتكالب المتسلقون والمتطفلون على أقوات الناس وأموالهم ..

لذلك فإن دراسة ديوان البوصيري تهدف أولاً إلى التنبيه على مستوى الشعر آنذاك ، ثم التعرف على أسلوب تعامل البوصيري مع المؤثرات الخارجية ، والعوامل الداخلية التي خضع لها مجتمعه ، وتبين أثر تلك العوامل على أغراض شعره ومعانيه ، حيث رأينا معظم شعره يتوزع بين المدائح

النبوية والنقد الاجتماعي ، ورأيناه شديد الحرص على سلامة الجبهة الداخلية .. وأخيراً التعرف على نهجه في بناء قصيدة المدح النبوي ، واستعراض تجربته ، والتعرف على ألوان شعره التي لم يشتهر منها إلا شعر المدائح النبوية .

تعريف([1]):

هو أبو عبد الله ، شرف الدين ، محمدابن سعيد بن حماد، وهو مغربي الأصل حيث يعود نسبه إلى قبيلة صنهاجة المغربية ولد في "دلاص" في أول شوال سنة ثمان وستمائة هجرية ، ونشأ في "بوصير"([2]) وتلقى علومه الأولى فيها ، ثم ارتحل إلى القاهرة وفيها بدأ رحلته العلمية ، حيث درس العلوم الدينية والتاريخ الإسلامي ، وبعض العلوم العربية كالأدب والنحو والصرف والعروض ، كذلك أخذ التصوف عن أبي العباس المرسي ، ورغم العلاقة المتينة التي ربطته بشيخه

([1]) راجع : - الكتبي ، محمد بن أحمد (ت ٤٦٧هـ/١٣٦٢م) : فوات الوفيات، طبعة بولاق ، القاهرة ١٢٨٣هـ ، ج ٢ ، ص ٢٥٦ .

- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٩م) : حسن المحاضرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة الحلبي ، القاهرة ١٣٠١هـ ، مج٢ ، ص ١٧٥ .

- ابن العماد ، عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، طبعة القاهرة ١٣٥١هـ ، مج ٢ ، ص ٤٣٢ .

([2]) دلاص وبوصير من قرى بني سويف بمصر ، وكان أبوه من بوصير ، وأمه من دلاص ، وقد نحت الشاعر من اللفظتين لقبا له ، الدلاصيري ، ولكنه اشتهر بلقب البوصيري .

المرسي ، وتشربه لتعاليم الصوفية التي بدا أثرها واضحا جليا في شعره إلا أنه لم يقوَ على متطلبات التصوف ، وقد اعتذر عن ذلك بقوله(١) :

أَحْسَبُ الزُّهْدَ هَيِّنـــاً وَهْـــوَ حَـــرْبٌ

لَـــسْتُ فيـــه ، ولاَ مِـــنَ النَّظَّـــارَه

وقد برر عدم تمكنه من القيام بواجبات التصوف بالفقر وكثرة العيال ، حيث قال(٢) :

أَثْقَلَتْ ظَهْرِيَ العِيَـــالُ وَقَـــدْ كُنْــــ

ـــتُ زَمانـاً بِهِمْ خَفِيْـــفَ الكَـــارَه(٣)

ولَو أَنِّـــي وَحْـــدِي لَكُنْـــتُ مُرِيْـــدًا

في رِبَاطٍ أَو عَابِـــداً فِـــي مَغَـــارَه

كذلك ألمَّ البوصيري بمبادئ الحساب ، وتزود بثقافة كاتب الديوان ، وقد باهى بإتقانه للأعمال الحسابية ، حيث قال(٤) :

---

(1) البوصيري (ت ٦٩٥هـ/١٢٩٥م) : الديوان ، تحقيق محمد سيد كيلاني ط٢ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٧٣م ، ص ١٣٣ .

(2) الديوان ، ص ١٣٣ .

(3) خفيف الكاره : خفيف الحمل .

(4) الديوان ، ص ١٠١.

إنِّي امْرُءٌ حِرْفَتِـــي الحِـــسَابُ فَـــلا

يَدْخُلُ رَيْبٌ عَلَـــيَّ فِـــي حِـــسْبِـــه

كذلك درس البوصيري الإنجيل والتوراة ، كما درس تاريخ ظهور المسيحية وما ألَّفه النصارى واليهود من كتب في شرح الديانتين والانتصار لهما ، وقد مكنه ذلك من التصدي لمزاعم اليهود والنصارى وأباطيلهم ، حيث استلهم في مجادلته لهم بعض نصوص التوراة والإنجيل ، وأقام الحجج المنطقية والتاريخية على بطلان ما ذهبوا إليه ، وتعد قصيدته "المخرج والمردود على النصارى واليهود" وتعليقه عليها ، خير شاهد على ذلك ، وهي قصيدة مفرطة الطول ، يقول في مطلعها([1])

جَاءَ المَسِيحُ مِـــنَ الإلـــهِ رَسُـــولا

فَـــأَبَى أَقَـــلُّ العَـــالَمِيْنَ عُقُـــوْلا

قَوْمٌ رَأَوْا بَـــشَراً كَرِيْمـــاً فَـــادَّعَوْا

مِـــنْ جَهْلِهِـــمْ للهِ فِيْـــهِ حُلُـــوْلا

وَعِـــصَابَةٌ مَـــا صَـــدَّقَتْهُ وَأَكْثَـــرَتْ

بالإفْـــكِ وَالبُهْتَـــانِ فِيْـــهِ القِـــيْلا

لَـــمْ يَـــأْتِ فِيْـــهِ مُفْـــرِطٌ وَمُفَـــرِّطٌ

بِـــالحقِّ تَجْرِيْحـــاً وَلاَ تَعْـــدِيْلا

([1]) الديوان ، ص ١٧٥ – ١٧٦ .

فَكَأَنَّمـــا جَـــاءَ المَـــسِيْحُ إِلَـــيْهُمُ
لِيُكَـــذِّبُوا التَّـــوْرَاةَ والإِنْجِـــيْلا
فَاعْجَبْ لأُمَّتِهِ التـــي قَـــدْ صَـــيَّرَتْ
تَنْزِيْهَهَـــا لإِلهِهَـــا التَّنْكِـــيْلا

ورغم فقر البوصيري وكثرة عياله فإنـه لـم يقبل وظيفة لا يتقنها ، ولا يستطيع القيام بواجباتها ، حيث عرض عليه أن يكون محتسب القاهرة ، إلا أنه اعتذر عن هذه الوظيفة بقوله([1]) :

لاَ تَظْلِمُـــونِي وَتَظْلِمُـــوا الحِـــسْبَهْ
فَلَـــيْسَ بَيْنِـــي وَبَيْنَهـــا نِـــسْبَهْ
غَيْرِي فِـــي البَيْـــعِ وَالـــشِّرَا دَرِبٌ
ولَيْسَ فِـــي الحَـــالتَيْنِ لِـــي دُرْبَـــه

وعلى صعيد الوظائف الحكومية فإن البوصيري لم يستطع الحصول على وظيفة مرموقة ، حيث لم يحظ بأكثر من وظيفة كاتب في ديوان بلبيس ، لذلك لم يلبث البوصيري أن ترك تلك الوظيفة التي لم تف بمتطلبات الحياة الكريمة له ولأفراد أسرته ، وعاد إلى القاهرة وفتح كُتَّاباً لتحفيظ القرآن ، وعمل في مهنة التدريس التي أحب أن يزاولها فترة ، ولكن

([1]) الديوان ، ص ٩٩ .

ضيق الرزق وقلة الربح جعله يغلق الكتاب ويتفرغ للبحث عن الرزق على أبواب الميسورين والأمراء ، وقد صور تجربته في تعليم الصبية بقوله[1]:

مَا زِلْتُ أَرْغَـبُ أَنْ أَكُـوْنَ مُعَلِّمـاً
فَيَكُـوْنَ فَـضْلِي مُكْمِـلَ الإِعْـلامِ
قَدْ صَارَ كُتَّابِي وَبَيْتِـي مِـنْ بَنِـي
غَيْـرِي وَأَبْنَـائِي كَبُـرْجِ حَمَـامِ
اعْطَيْـتُهُمْ عَقْلِـي وَآخُـذُ عَقْلَهُـمْ
فَـأَبِيْعُ نُـوْرِي مِـنْهُمْ بِظَـلامِ

والبوصيري كغيره من شعراء عصره ، عانى من انصراف الأمراء والميسورين عن الشعر ، وبخلهم على الشعراء ، وقد صور بخل الممدوحين في أكثر من قصيدة ، من ذلك قوله[2] :

لا تكلنِـي إِلَـى سِـوَاكَ فَأَخْيَـا
رُ زَمَـانِي لاَ يَمْنَحُـوْنَ خِيَـارَه
وَوُجُـوهُ القُـصَّادِ فِيْـهِ حَدِيـدٌ
وَقُلُـوْبُ الأَجْـوَادِ فِيْـهِ حِجَـارَه

---

(1) الديوان ، ص ٢٥٤ .

(2) الديوان ، ص ١٣٣ .

ويبدو أنه يأس من ممدوحيه ، حيث لا جدوى من كثرة سؤاله لهم ، فاضطر إلى القول([1]) :

وَالـــشِّعْرُ مِيزَانُــــهُ أُقَوِّمُــــه
ولـيس تَنْقــامُ منــه لِـي حَدْبَــه

فَـــإِنَّنِي لاَ أَرَى المَـــدِيْحَ بِــهِ
لِلْمَــالِ بَــلْ لِلْــوِدَادِ والــصُّحْبَه

وَالشِّعْرُ عِنْدِي أَخُو العَدَالَةِ لاَ أَحْـــ
ســبُ أَقْوَالَـــهُ ولاَ كَـــسْبَه

إنه لم يحقق بشعره منصباً ولا جاهاً ، بل عاش حياته يعاني شظف العيش وقلة الرزق ، وعدم المقدرة على تحمل تبعات أسرة كبيرة وامرأة ولود ، وتكاد لا تخلو مدحة من مدائحه من الحديث عن سوء حاله ، وما يعانيه من امرأته التي أثقلت كاهله بكثرة إنجابها ، من ذلك قوله([2]) :

إِنْ زُرْتُها فِيْ العَامِ يَوْماً أَنْتَجَتْ
وَأَتَتْ لِـسِتَّةِ أَشْـهُرٍ بِغُـلامِ

أَوَ هَـــذِهِ الأَوْلادُ جَــاءَتْ كُلُّهــا
مِنْ فِعْلِ شَيْخٍ لَــيْسَ بِــالقَوَّامِ

([1]) الديوان ، ص ١٠١ .

([2]) الديوان ، ص ٢٥٤ – ٢٥٥ .

وَأَظُـــنُّ أَنَّهُـــمُ لِعُظْـــمِ بَلِيَّتِـــي

حمَلَتْ بِهِمْ لا شَكَّ في الأَحْلامِ

أَوكُلَّ ما حلِمَتْ بِـــهِ حَمَلَـتْ بِـــه

مَنْ لِي بأَنَّ الناسَ غيرُ نِيـــامِ

ياليْتَهـــا كانَـــتْ عَقِيمـــاً آيِـــساً

أوَ لَيْتَنِي مِن جُمْلَـــةِ الخُـــدَّامِ

كيفَ الخَلاصُ مِنَ البَنِيْنَ ومِـــنهُمْ

قَوْمٌ وَرايَ وآخَرُونَ أُمَـــامي

لمْ يُرْزَقِ الرِّزْقَ المُقِـــيمُ بِأَهْلِـــه

فَشَكَوْا عَنا بُعْدِي وفقْرَ مُقَامي

فَـــارَقْتُهُمْ طَلَبـــاً لِـــرِزْقِهِمْ فَـــلا

صَرْفي يَسُرُّهُمْ ولا استِخْدامي

مَنْ كـــانَ مِثْلِـــي للعِيـــالِ فَإِنَّـــهُ

بَعْلُ الأَرامِلِ أَوْ أَبُـــو الأَيْتَـــامِ

أَصْبَحْتُ مِنْ حَمْلِي هُمُومَهُمْ على

هَرَمِي كَأَنِّي حامِـــلُ الأَهْـــرَامِ

هكذا كانت حياة البوصيري رحلة صراع مع الفقر والحرمان ، تلك الرحلة التي انتهت بموته سنة خمس وتسعين وستمائة هجرية([1]) .

([1]) انفرد الدكتور أحمد بدوي بقوله : "ودفن بالإسكندرية حيث قبره بها مشهور يُزار" ، مع أن الذين تحدثوا عن حياة البوصيري قالوا إنه توفي بالمارستان المنصوري بالقاهرة ، وأنه دفن بناحية الإمام الشافعي ، أما الثابت فهو تردد البوصيري على الإسكندرية لزيارة شيخه أبي العباس المرسي .

– أحمد بدوي : الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ، ط. الثانية ، دار نهضة مصر ، ص ٢٩٦ .

شاعرية البوصيري

المدائح النبوية :

اقترن اسم البوصيري بفن المدائح النبوية ، فهو فارس هذه الحلبة الذي لا ينازع ، وهو أستاذ هذا الفن الذي يُحْتَذَى حذوه ، بالرغم من تأخر عصره ، وكثرة سابقيه ، وبردته هي الأنموذج الذي احتذاه الشعراء بعده ، رغم سبق بردة كعب لها بمئات السنين(1) ، فعلى بردته عكف الدارسون والشعراء بالشرح والتحليل ، واستلهام معانيها وألفاظها بالتضمين والتشطير والتخميس والمعارضة ...(2) ، وإذا كنا نزعم أن

---

(1) إن البردة حقيقة هي لامية كعب بن زهير ، وتقع في ثمانية وخمسين بيتا ، ومطلعها : بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي اليومَ مَتبولُ مُتَيَّمٌ إثْرهَا لَمْ يُفَدْ مكبولُ

وقد حظيت باهتمام المسلمين لأنها ألقيت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، ونالت إعجابه حيث خلع على كعب بردته ومن ثم سميت هذه القصيدة باسم البردة ، وقد حظيت باهتمام بعض الدارسين والشُّراح والشعراء ، ولكن ليس بالقدر الذي حظيت به بردة البوصيري .

(2) كثيرون هم الذين اهتموا بشرح بردة البوصيري ، وقد ذكر زكي مبارك أكثر من عشرين شارحاً ، كذلك ذكر الكثير من أمثلة التضمين والتشطير والتخميس والتسبيع والتعشير والمعارضة ، ومن تلك المعارضات نشير إلى اثنتين من العصر الحديث ، الأولى للشاعر محمود سامي البارودي

قصيدة البردة([1]) هي أشهر شعره([2]) ، فإننا نزعم أيضا أنها من أهم عوامل اشتهار البوصيري نفسه ، وذلك لأنه إلى جانب جودتها الفنية قد حيكت حولها الكثير من القصص والروايات التي رفعتها أحيانا إلى درجة من درجات التقديس ، فالبعض يضع لقراءتها شروطا لم توضع لغيرها من كلام البشر من

وسُميت "كشف الغمة في مدح سيد الأمة" ، وهي تقع في أربعمائة وسبعة وأربعين بيتا ، ومطلعها :

يَا رَائِدَ البَرْقِ يَمِّمْ دَارَةَ العَلَمِ   واحْدِ الْغَمَامِ إلى حَيٍّ بِذِي سَلَمِ

والقصيدة الثانية لأحمد شوقي وهى المسماة "نهج البردة" وتقع في مائة وتسعين بيتا مطلعها :

رِيْمٌ على القَاعِ بَيْنَ البَانِ والعَلَمِ   حلَّ سَفْكَ دَمِي في الأَشْهُرِ الحُرُمِ

– انظر: مبارك ، زكي : المدائح النبوية في الأدب العربي ، طبعة دار الشعب، مصر ، ١٩٧١م ، ص ٢١٥ – ٢٢٦ .

(1) وتُسمى أيضاً "البراءة" ، وذلك لأن البوصيري قد برئ بها من الفالج الذي أبطل نصف جسمه ، وسميت أيضا قصيدة الشدائد ، حيث زعموا أيضاً أن قراءتها تُفَرِّج الشدائد ، وتُيَسِّر كل أمر عسير ، وسمَّاها البوصيري : "الكواكب الدرية في مدح خير البرية" . راجع : الديوان ، ص ٢٩٠ .

(2) وقد تُرجمت إلى عدة لغات ، من ذلك الانجليزية والفرنسية والألمانية ، كما طُبعت عشرات المرات ، طُبعت في فينا ، والآستانة ، ومكة ، وبمباى ، وفي القاهرة نحو خمسين مرة .. وهى تطلب بالألوف ، وفي دار الكتب المصرية نسخ من البردة حُليت كتابتها بالذهب . – المدائح النبوية ، ص٢١٦ .

ذلك: الوضوء ، واستقبال القبلة ، والدقة في تصحيح ألفاظها وإعرابها ، وأن يكون القارئ عالما بمعانيها ... ، وببعض أبياتها يُشفى الناس من العلل والأمراض التي ألمت بهم ، وبحفظ أبياتها وإنشادها صباحا ومساء يتقرب الناس من المصطفى صلى الله عليه وسلم ويرونه في المنام ، إلى غير ذلك من اعتقاد الناس بهذه القصيدة([1]) .

بدأ البوصيري بردته بالنسيب سيرا على عمود القصيدة العربية ، ومع ذلك فقد استطاع المواءمة بين المقدمة الغزلية والموضوع ، فبينما يحدثنا عن شدة الشوق ولوعة الوجد ، فإنه لا يتركنا نذهب بخيالنا بعيداً عن غرضه ، فأطلال المحبوبة هي من قبل ديار الممدوح ، والريح التي تحمل شذا المحبوبة هي الريح التي تعطرت بشذا الممدوح ، ووميض البرق الذي هدى الشاعر لديار المحبوبة هو الوميض الذي كشف الغمة وأنار طريق الهداية للبشر أجمعين ، لأنه ينبعث من الموطن الذي شهد ميلاد الممدوح .

وفي خضم ذلك قد تتداخل المشاعر ، ويصعب التفريق بين جدية حديث الصبابة والهوى بمفهومه المادي ، والحديث

([1]) انظر : الديوان ، ص ٢٩ – ٣٠ ، ٢٨٦ – ٢٨٧ . والمدائح النبوية ، ص٢١٥ – ٢١٦.

عن خوالج نفسه إزاء الأماكن التي شهدت ميلاد ممدوحه ، وذلك في قوله([1]) :

أَمِنْ تَــذَكُّرِ جِيْــرَانٍ بِــذي سَــلَمِ
مَزَجْتَ دَمْعَاً جَرَى من مُقلَةٍ بِدَمِ([2])
أم هَبَّتِ الريحُ من تِلْقَــاءِ كاظِمَــةٍ
وأومَضَ البرقُ في الظلماءِ من إضَمِ
فَما لِعَيْنَيْكَ إنْ قُلْــتَ اكْفُفَــا هَمَتَــا
وَما لِقَلْبِك إنْ قُلْــتَ اسْــتَفِقْ يَهِــمِ
أَيَحْسَبُ الــصَّبُّ أنّ الحُــبَّ مُنْكَــتِمٌ
ما بينَ مُنْسَجِمٍ منهُ ومُــضْطَرِمِ([3])
لولاَ الهَوَى لمْ تُرِقْ دَمعاً على طَلَلٍ
ولا أَرِقْتَ لِــذِكرِ البَــانِ والعَلَــمِ([4])
فكيفَ تُنْكِرُ حُبّاً بعــدَ مــا شَــهِدَتْ
بهِ عليكَ عــدولُ الــدَّمْعِ والــسَّقَمِ

([1]) الديوان ، ص ٢٣٨ – ٢٣٩ .
([2]) ذو سلم : موقع بالحجاز .
([3]) المنسجم صفة الدمع السائل . والمضطرم صفة القلب المشتعل بالحب .
([4]) البان : جمع بانة ، وهو ضرب من الشجر . العلم : جبل فرد شرقي الحاجر يقال له أبان ، فيه نخل وفيه واد .

وَأَثْبَتَ الوجْدُ خطَّيْ عَبْرَةٍ وضَنىً
مِثْلَ البَهارِ عَلَى خَدَّيْكَ والعَنَمِ([1])
نَعَمْ سَرَى طَيفُ مَنْ أَهْوَى فـأَرَّقَني
والحُبُّ يَعْتَرِضُ اللذَّاتِ بالأَلَمِ
يا لائِمِي في الهَوَى العُذْرِيِّ مَعذِرَةً
مِنِّي إليكَ ولو أَنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ
عَدَتْكَ حالِيَ لا سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ
عَنِ الوُشاةِ وَلا دَائِي بِمُنْحَسِمِ([2])
مَحَّضْتَنِي النُّصْحَ لكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ
إنَّ المُحِبَّ عَنِ العُذَّالِ في صَمَمِ([3])

نعم إن الشاعر لا يترك لمشاعرنا العنان لكي تعيش التجربة الغزلية التي اكتملت عناصرها في هذه الأبيات ، حيث يقطع علينا الطريق بقوله([4]) :

([1]) البهار : ورد أصفر – العنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء تشبه بها البنان المخضوبة .

([2])عدتك : تجاوزتك . منسجم : منقطع .

([3]) محضتني النصح : أخلصته .

([4]) انظر بقية الأبيات حتى قوله :

ولا تَزوَّدْتُ قبلَ الموْتِ نافِلةً   ولَمْ أُصلِّ سِوى فَرْضٍ ولَمْ أَصُمِ

– الديوان ، ص ٢٤٠ .

إنِّي اتهمْتُ نَصيحَ الشَّيْبِ في عــذَلٍ
والشَّيْبُ أَبْعَدُ في نُصْحٍ عن الــتُّهَمِ
فإنَّ أَمَّارَتي بالــسُّوءِ مــا اتَّعَظَــتْ
مِنْ جَهْلِها بنذيرِ الشَّيْبِ والهَرَمِ(1)
ولا أَعَدَّتْ من الفعْلِ الجَميلِ قِــرَى
ضَيفٍ أَلَمَّ بِرأْســي غيــرَ مُحْتَــشمِ
لو كنتُ أعلَــمُ أنِّــي مــا أُوقِّــرُهُ
كَتَمْتُ سِرّاً بدَا لِي منــه بــالكَتَمِ(2)
مَنْ لِي بِرَدِّ جِماحٍ مِــنْ غَوايَتِهــا
كما يُــرَدُّ جِمــاحُ الخَيــلِ بــاللُّجُمِ
فلا تَرُمْ بالمعاصِي كَسْرَ شَــهوَتِها
إنَّ الطعامَ يُقَوِّي شَــهْوَةَ الــنَّهِمِ(3)
والنَّفْسُ كالطِّفْلِ إنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ على
حُبِّ الرَّضاعِ وإنْ تَفْطِمْــهُ يَــنْفَطِمِ

---

(1) الأمَّارة بالسوء هي النفس .

(2) في البيت جناس ناقص بين : كتمت وبالكتم ، والأولــى بمعنــى أخفــى ، والثانية اسم نبات يخضب به كالحناء .

(3) يجرى هذا البيت والذي يليه مجرى الأمثال ، ومثل هذه المعــاني الجيــدة كثير في شعره .

فالشاعر نظم بردته وهو في خريف العمر ، ومع هذه السن المتأخرة تنتفي جميع الصبوات الحسية ، ويتأكد لنا أنه ما تحدث إلا عن شوقه لديار الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما تبعثه في نفسه من لوعة قلبية صادقة نحو المصطفى ، لذلك رأيناه يحذر من إتباع النفس وهواها قبل أن ينتقل للحديث عن أخلاق النبي ويمتدح صفاته صلى الله عليه وسلم ، بمثل قوله(1) :

ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أحيا الظَّلامَ إلى
أنِ اشتكتْ قَدَماهُ الضُرَّ من وَرَمِ

وشدَّ مِنْ سَغَبٍ أحشاءَهُ وطَوَى
تَحْتَ الحِجَارةِ كَشْحاً مُتْرَفَ الأَدَمِ

وَرَاودَتْهُ الجبالُ الشمُّ مِنْ ذَهَبٍ
عَنْ نَفْسِهِ فأراها أيَّما شَمَمِ

وأكَّدتْ زُهْدَهُ فيها ضَرُورَتُهُ
إنَّ الضَّرُورَةَ لا تَعْدُو على العِصَمِ

وكيفَ تَدْعُو إلى الدُّنيا ضَرُورَةُ مَنْ
لولاهُ لَمْ تَخْرُجِ الدُّنيا مِنَ العَدَمِ

(1) الديوان ، ص ٢٤٠ .

وبعد ذلك يستغرق البوصيري في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وتتوارد الصور الشعرية الرائعة التي تبين بعض صفاته صلى الله عليه وسلم تباعا ، من ذلك قوله(1) :

فإنَّ فَضلَ رسـولِ اللهِ لـيس لـهُ
حَدٌّ فيُعْرِبَ عَنْهُ ناطِقٌ بِفَمِ
لو ناسَـبَتْ قَـدْرَهُ آياتُـهُ عِظَمـاً
أحْيَا اسمُهُ حِينَ يُدْعَى دارِسَ الرِّمَمِ
لَمْ يَمْتَحِنَّا بما تَعْيَا العُقـولُ بـه
حِرْصاً علينا فلَمْ نَرْتَبْ ولَمْ نَهِمِ(2)
أعْيَا الوَرَى فَهْمُ مَعْنَاهُ فليس يُـرَى
في القُرْبِ والبُعْدِ فيه غيرُ مُنْفَحِمِ(3)
كالشَّمْسِ تَظْهَرُ للعَيْنَيْنِ مِـنْ بُعُـدٍ
صَغِيرةً وتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ(4)
وكيفَ يُدْرِكُ فـي الـدُّنْيا حقيقَتَـهُ
قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عنهُ بالحُلُمِ

---

(1) الديوان ، ص ٢٤١ – ٢٤٢ .

(2) لم نهم : لم نضل .

(3) المنفحم : الساكت عجزاً في المناظرة.

(4) تكل : تتعب . أمم : قرب . وفي البيت طباق بين كلمتي بعد وأمم .

فمبْلَــغُ العِلْــمِ فيــهِ أَنَّــهُ بَــشَرٌ
وأَنَّــهُ خَيْــرُ خَلْــقِ اللهِ كُلِّهِــمِ
وكُلُّ آيٍ آتَى الرُّسْلُ الكِــرامُ بهــا
فإنَّما اتَّصلَتْ مِــنْ نُــورِهِ بهِــمِ

وفي معرض حديثه عن المولد النبوي الشريف ، يذكر البوصيري الكثير من المعجزات التي واكبت ذلك المولد ، كانصداع إيوان كسرى ، وخمود نار الفرس ، وجفاف ماء بحيرة ساوة ، وانقضاض الشهب من السماء على الأصنام وتدميرها ، وغير ذلك مما نراه في مثل قوله(¹) :

أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَــنْ طيــبِ عُنْــصُرِهِ
يا طِيبَ مُبْتَدَإٍ منه ومُخْتَتَمِ
يَوْمٌ تَفَــرَّسَ فيــه الفُــرْسُ أَنَّهــمُ
قَدْ أُنْذِرُوا بِحُلولِ البُؤْسِ والنِّقَمِ
وبَاتَ إِيوان كِسْرَى وهو مُنْــصَدِعٌ
كَشَمْلِ أَصْحابِ كِسْرَى غَيْرَ مُلْتَئِمِ
والنَّارُ خَامِدَةُ الأنفاسِ مِــنْ أَسَــفٍ
عليهِ والنَّهرُ ساهي العَيْنِ مِنْ سَدَمِ(²)

(¹) الديوان ، ص ٢٤٢ .

(²) ساهي : ساكن . السدم : الحزن .

وساءَ ساوَةَ أنْ غاضَــتْ بُحَيْرَتُهــا

ورُدَّ وارِدُها بالغَيْظِ حينَ ظَمي(1)

كأنَّ بالنَّارِ مــا بالمــاءِ مِــنْ بَلَــلٍ

حُزْناً وبالماءِ ما بالنَّارِ مِنْ ضَرَمِ

والجِنُّ تَهْتِــفُ وَالأنــوارُ ســاطِعَةٌ

والحقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنىً ومِــنْ كَلِــمِ

عَمُوا وَصَمُّوا فإِعْلانُ البَشائِرِ لَــمْ

تُسْمَعْ وَبارِقَةُ الإنْــذارِ لَــمْ تُــشَمِ(2)

مِنْ بَعْدِ ما أَخْبَرَ الأقْــوامَ كــاهِنُهُمْ

بــأَنَّ ديــنَهُمُ المُعْــوَجَّ لَــمْ يَقُــمِ

وبَعْدَ ما عايَنُوا في الأُفْقِ من شُهُبٍ

مُنْقَضَّةٍ وفْقَ ما في الأرْضِ مِنْ صَنَمِ

حتى غَدا عَنْ طَريقِ الوَحْيِ مُنْهَزِمٌ

من الشياطينِ يَقْفُو إثْرَ مُنْهَزِمِ

ويسترسل البوصيري في عرض ألوان المعجزات التي واكبت الدعوة المحمدية ، كقدوم الأشجار وسجودها بين يدي

---

(1) ساوة : مدينة في بلاد فارس بين همذان والري .

(2) تشم : تنظر .

المصطفى([1]) ، وسير الغمامة فوق رأسه صلى الله عليه وسلم لتقيه حرّ الشمس ، وما صنع الحمام والعنكبوت على باب غار حراء ، وما في الإسراء والمعراج من أوجه الإعجاز .. ثم ينتقل للحديث عن الجهاد ، فيسهب في وصف البطولات الإسلامية ، وفي ختام بردته يعود البوصيري للتأكيد على معجزة القرآن الكريم ، وتوضيح بعض جوانبها ، ثم يبين سبب نظم قصيدته وهو التقرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليحظى بشفاعته ، من ذلك قوله([2]) :

خَدَمْتُـــهُ بِمَـــديحٍ أَسْــتَقِيلُ بِــهِ
ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى فِي الشِّعْرِ والخِدَمِ
إِذْ قَلَّـــدانِيَ مَـــا تُخْـشَى عَوَاقِبُــهُ
كَأَنَّنِي بِهِمَا هَدْىٌ مِـنَ الـنَّعَمِ([3])
أَطَعْتُ غَيَّ الصِّبَا فِي الحَالَتَيْنِ وَمَا
حَصَلْتُ إِلاّ عَلَى الآثَامِ وَالنَّدَمِ

([1]) ومثل هذه المعجزات التي ذكرها البوصيري - والتي هي في ظني مستقاة من قصص الوعاظ والمتصوفة في عصره - تعوزها الدقة ويحتاج بعضها إلى التحقيق والتصويب خاصة إذا صرفت عن معناها المجازي الذي هو أقرب إلى لغة الشعر .

([2]) الديوان ، ص ٢٤٧ – ٢٤٨ .

([3]) الهدى : ما يهدى إلى الحرم ليُذبح .

فيا خسارة نفسٍ في تجارَتِها
لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بالدُّنيا ولَمْ تَسُمِ

ومَنْ يَبِعْ آجِلاً منهُ بعَاجِلِه
يَبِنْ لهُ الغَبْنُ في بَيْعٍ وفي سَلَمِ[1]

إنْ آتِ ذَنْباً فما عَهْدي بمُنْتَقِضٍ
مِنَ النبيِّ ولا حَبْلي بمُنْصَرِمِ

فإنَّ لِي ذِمَّةً منهُ بتَسْمِيتي
مُحمداً وهو أوْفَى الخَلْقِ بالذِّمَمِ

إنْ لَمْ يكُنْ في مَعَادِي آخذاً بيَدي
فَضْلاً وإلاّ فَقُلْ يا زَلَّةَ القَدَمِ

حاشاهُ أنْ يَحْرِمَ الرَّاجِي مكارِمَهُ
أوْ يَرْجِعَ الجارُ منهُ غيرَ مُحتَرَمِ

ومُنْذُ ألزَمْتُ أفكارِي مَدائحَهُ
وَجَدْتُهُ لخَلاصِي خيرَ مُلْتَزِمِ

وما دمنا في معرض الحديث عن المدائح النبوية في شعر البوصيري ، فإنه لا ينبغي أن تشغلنا شهرة بردته عن ذكر غيرها من القصائد ، وخاصة أنها تشكل الجزء الأكبر من ديوانه ، ومن تلك القصائد نذكر أولاً قصيدته التي عارض بها

---

(1) السلم في البيع هو البيع المؤجل الدفع .

لامية كعب بن زهير ، والتي سماها "ذخر المعاد ، في وزن بانت سعاد"([1]) ، وقد بدأها بالوعظ والإرشاد ، ونهى النفس عن إتباع الهوى ، وحثها على تعجيل التوبة والرجوع إلى الله تعالى وذكَّـرها بقصر رحلتها الدنيوية ، وبيَّن سوء عاقبة الوثنيين ، وعبدة العجل ، والنصارى الذين ادعوا ألوهية المسيح ... ، ثم انتقل للحديث عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي أثناء مدحه للنبي صلى الله عليه وسلم ، تحدث عن الآيات والمعجزات التي واكبت مولده ، والتي سبق ذكرها في البردة كخمود نار فارس ، وانهزام الشياطين وتحطم الأصنام .. ، وتحدث بعد ذلك عن الجهاد والبطولات الإسلامية ، وانتهى بإظهار شدة شوقه لزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام ، ومما جاء فيها عن المولد النبوي نذكر قوله([2]) :

([1]) وسماها أيضا " ذخر المعاد في معارضة بانت سعاد ، وهي قصيدة طويلة تبلغ أبياتها ٢٠٤ أبيات ، وخالف فيها نهج "كعب" حيث تخلى عن المقدمة الغزلية وبدأها بالوعظ والإرشاد ، ومطلعها :

إلى متَىْ أنْتَ باللَّذَّاتِ مَشْغولُ وأنتَ عنْ كلِّ ما قدَّمْتَ مسئُولُ

– انظر القصيدة في الديوان ، ص ٢٢٠ .

([2]) الديوان ، ص ٢٢٢ – ٢٢٣ .

كم آيةٍ ظَهَرَتْ فــي حــينِ مَوْلــدِهِ
بــهِ البِــشائرُ منهـــا والتّهاويـــلُ(١)
عُلومُ غَيْبٍ فلا الأرصـــادُ حاكمَـــةٌ
ولا التقـــاويمُ فيهـــا وَالتّحاويـــلُ(٢)
إذِ الهَواتِـــفُ والأنـــوارُ شـــاهدُها
لَدَى المَسامعِ وَالأبــصارِ مَقْبُــولُ(٣)
ونـارُ فارِسَ أضْحَتْ وَهْـــيَ خامِـــدَةٌ
وَنَهْرُهُمْ جامدٌ والـــصَّرْحُ مَثْلُـــولُ(٤)
ومُذْ هَدانا إلـــى الإســـلامِ مَبْعَثُـــهُ
ودَهَى الشياطِينَ والأصنَامَ تَجْدِيلُ(٥)
وَانْظُرْ سماءً غدَتْ مَمْلوءَةً حَرَســـاً
كأنّهـــا البَيْـــتُ لَمَّـــا جـــاءَهُ الفيـــلُ

---

(1) في البيت تورية ، فكلمة تهاويل من الهول أي الخوف ، والتهاويل : هـي الزينة الناتجة عن النقوش الملونة .

(2) الأرصاد : ما يستعمل لرصـد الكواكـب والتقـاويم والتحاويـل : مـن اصطلاحات المنجمين ، للاطلاع على المغيبات ومعرفة الأوقات .

(3) الهواتف : جمع هاتف ، وهو ما يسمع صوته ولا يرى شخصه .

(4) الصرح : القصر ، وهو إيوان كسرى – ومثلول : مهدوم .

(5) جدله تجديلاً : ألقاه على الجدالة مصروعاً ، وهي الأرض .

فَرَدَّتِ الجنَّ عــنْ سَـمْعٍ ملائكــةٌ
إذْ رَدَّتِ البَــشرَ الطَّيْــرُ الأبابِيــلُ([1])
كلٌّ غَدا ولَهُ مِــنْ جِنْـسِهِ رَصَــدٌ
للجِــنِّ شُــهْبٌ وللإنْــسانِ سِــجِّيلُ
لَوْلا نبيُّ الهُدَى ما كانَ فــي فَلَــكٍ
علــى الــشياطينِ للأَمْــلاكِ تَوْكِيــلُ
لَمَّا توَلَّــتْ تَــوَلَّى كــلُّ مُــسْتَرِقٍ
عَنْ مَقْعَدِ السَّمْعِ منها وهوَ مَعْزُولُ([2])
إنْ رُمْــتَ أَكبــرَ آيــاتٍ وأكْمَلَهــا
كفاكَ مِــنْ مُحْكَــمِ القُــرْآنِ تنْزِيــلُ
وانْظُرْ فليس كَمِثْلِ اللهِ مِــنْ أَحَــدٍ
ولا كقَــوْلٍ أتَــى مِــنْ عنــدِهِ قِيْــلُ

وللبوصيرى عدة مدائح نبوية تصور استعداده للحج ، ووقوفه أمام ضريح النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم عودته من الأراضي الحجازية . ففي طريقه إلى الحج قال قصيدة مطلعها([3]) :

([1]) الأبابيل : الجماعات ، وهى جمع لا مفرد له من لفظه .
([2]) تولت : استولت – تولى : فر ، وهى جناس ناقص .
([3]) الديوان ، ص ٢٥٧ .

سارتِ العِيسُ يُرَجِّعْنَ الحَنِينا

وَيُجَاذِبْنَ من الشَّوْقِ البُرِينا([1])

وأمام ضريح المصطفى صلى الله عليه وسلم قال مدحته التي مطلعها([2]) :

وَافَاكَ بالذنبِ العظيمِ المُذْنِبُ

خَجِلاً يُعَنِّفُ نفسَهُ ويُؤَنِّبُ

وفي الأراضي الحجازية مدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة مطلعها([3]) :

بِمَدْحِ المُصْطَفَى تَحْيَا القُلُوبُ

وتُغْتَفَرُ الخَطَايَا والذُّنُوبُ

ولما همّ بالعودة من الأراضي الحجازية قال قصيدته التي مطلعها([4]) :

أَزمَعُوا البَيْنَ وَشَدُّوا الرِّكَابَا

فَاطْلُبْ الصبرَ وخَلِّ العِتَابَا

([1]) البرين : جمع برة ، وهى حلقة توضع في أنف البعير ، ويشد بها الزمام .

([2]) الديوان ، ص ٨٩ .

([3]) الديوان ، ص ٨٣ .

([4]) الديوان ، ص ٧٧ .

أما قصيدته المشهورة فقد قالها بعد عودته من الحج ، وسماها "أم القرى ، في مدح خير الورى" ، وهي قصيدة طويلة جداً(١) ، بدأها بمدح المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال(٢) :

كيــف ترقــى رُقيَّــكَ الأنبيــاءُ
يــا سـماءً مـا طاولَتْهـا سـماءُ

لمْ يُساوُوك في عُـلاكَ وقَـدْ حـا
لَ سناً منـك دونَهـم وسَـناءُ(٣)

إنَّمـــا مَثَّلـــوا صِــفاتِكَ للنـــا
سِ كما مَثَّـلَ النجـومَ المـاءُ(٤)

أنتَ مِصباحُ كلِّ فضلٍ فمـا تَـصْـ
دُرُ إلا عــن ضــوئِكَ الأضـواءُ

---

(١) بلغت مدحته ستين وأربعمائة بيتاً ، وقد ظفرت باهتمام الدارسين والـشُّراح والشعراء ، وممن عارضها من الشعراء نذكر أحمد شوقي ، الذي عارضها في قصيدته التي مطلعها :

ولدَ الهُدى ، فالكائناتُ ضياءُ وفَمُ الزمانِ تَبسمٌ وثناءُ

راجع : ديوان أحمد شوقي : "الهمزية النبوية ، طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١/٣٤ - ٤١ .

(٢) الديوان ، ص ٤٩ .

(٣) السنا : الضوء - السناء : الرفعة . وفيها جناس ناقص .

(٤) مثلوا : صوروا .

لكَ ذاتُ العلومِ مــن عــالمِ الغَيْــــ

ــــــب ومنهـــا لآدمَ الأَســـماءُ

لم تَزَلْ في ضــمائرِ الكــونِ تُخْتَــا

رُ لـــك الأُمهـــاتُ والآبــــاءُ

ما مَضَتْ فَتــرةٌ مــن الرُسْــلِ إلاَّ

بَــشَّرَتْ قومَهـــا بِــكَ الأَنبيـــاءُ

تَتَبــاهى بِــكَ العــصورُ وتَــسْمو

بِــكَ عَلْيــاءٌ بعـــدَها عَلْيَـــاءُ

وهي كما سبق القول قصيدة طويلة ، يتجاوز حديث البوصيري فيها أحداث السيرة النبوية العطرة ، حيث ينتقل للحديث عن آل البيت وما حل بهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويتحدث عن سيرة الخلفاء الراشدين ويصور بطولات بعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، ويختم قصيدته بالتوسل والمناجاة وطلب الشفاعة .

تفنيد مزاعم اليهود والنصارى :

وبعد هذه الجولة السريعة بين معاني شعر المدائح النبوية(1) ، ننتقل لتناول جانب آخر من جوانب شعر البوصيرى ، وهو قريب الصلة بالمدائح النبوية(2) ، وفيه يبين البوصيري موقفه من النصارى واليهود ، وحديثه في هذا الجانب ينقسم إلى قسمين : أحدهما يتصل بالجانب الديني ، والثاني بالجانب السلوكي .

أما القسم الأول فيحرص فيه البوصيرى على إثبات فساد عقيدة النصارى واليهود ، وذلك من خلال تفنيده لمزاعمهم ، إذ يوازن بين تلك المزاعم وما جاء في كتبهم المقدسة مما يفند تلك المزاعم ، ففي قصيدته "المخرج والمردود على النصارى واليهود" يفند فكرة ألوهية عيسى عليه السلام

---

(1) إن الحديث عن المدائح النبوية في شعر البوصيري يحتاج إلى بحث مستقل، فإذا كنا فيما سبق قد أشرنا لبعض قصائد المدح النبوي ، فإننا تركنا الحديث عن الكثير من القصائد والمقطوعات ، كذلك الكثير من المعاني والمقطوعات التي وردت في قصائد ذات أغراض أخرى .

(2) وتتضح هذه الصلة في جانبين : الأول وهو الاشتراك في الباعث الديني ، والثاني هو الالتقاء في المعنى ، حيث خصص الشاعر حوالي مائة بيت من هذا النص – مثلا – للمدح النبوي ، والحديث عن الجهاد ، والمعجزات ، والتوسل وطلب الشفاعة .

التي تقوم عليها الديانة المسيحية المحرّفة ، بمختلف البراهين والأدلة ، ففي مطلعها يسخر من حمق النصارى بقوله([1]) :

جاءَ المَسِيحُ مِــن الإلـــهِ رَسُــولا
فــأبى أَقَــلُّ العـــالَمِينَ عُقُـــولا

قَوْمٌ رَأَوْا بَــشَراً كَرِيمــاً فــادّعوْا
مِــنْ جَهْلِهِـــمْ للهِ فيـــهِ حُلُـــولا

وعِــصابَةٌ مــا صَــدَّقَتْهُ وأَكْثَــرَتْ
بالإفْـــك والبُهْتَـــانِ فيـــهِ القِـــيلا

لَــمْ يــأْتِ فيــهِ مُفْــرِطٌ ومُفَــرِّطٌ
بـــالحَقِّ تَجْرِيحـــاً ولا تَعْـــدِيلا

فكأنَّمـــا جـــاءَ المَـــسِيحُ إلـــيهِمُ
لِيُكَـــذِّبُوا التَّـــوراةَ والإنجـــيلا

([1]) قال البوصيري في التقديم لهذه القصيدة : "لمّا رأيت كتب النصارى واليهود الآن مشحونة بما ينكرونه من بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيها بخلاف ما يدعونه من ألوهية المسيح ، ومن صَلْبه ، وإثبات رسالته إلى النصارى واليهود ، وما لا يخفى ، تعرضت في هذه القصيدة إلى ذكر ما سَهل نظمه من ذلك ، وأردت أن أورد تحت كل أبيات منها ما أشارت إليه من النصوص التي لا يستطيع النظم ذكرها بلفظها ولا بترتيبها" . الديوان ، ص ١٧٥ – ١٧٦ .

فاعْجَبْ لأُمَّتِه التـــي قـــدْ صَـــيَّرَتْ

تَنْزِيهَهَـــــا لإلهِهَـــــا التَّنْكِـــــيلا

ثم يقيم عليهم الحجج العقلية والمنطقية ، كقوله إن كان المسيح إلهاً فهل يحتاج إلى الطعام والشراب ، وهل هو كالبشر ينام ويتعب ، ويمرض ويموت .. وغير ذلك مما نراه في مثل قوله([1]) :

أسَـــــمِعْتُمُ أنَّ الإلـــــهَ لحَاجَـــــةٍ

يَتَنَـــــاوَلُ المَـــــشْرُوبَ والمَـــــأْكُولا

ويَنَامُ مِـــنْ تَعَـــبٍ ويَـــدْعُو رَبَّـــهُ

ويَرُومُ مِـــنْ حَـــرِّ الهَجِيـــرِ مَقِـــيلا

ويمَسُّهُ الألَمُ الـــذي لَـــمْ يَـــسْتَطِعْ

صَرْفَـــــاً لَـــــهُ عنـــــهُ ولا تَحْـــــوِيلا

يا ليتَ شِعْرِي حِينَ ماتَ بِـــزَعْمِهِمْ

مَنْ كَـــانَ بالتَّـــدْبِيرِ عنـــه كَفِـــيلا

هلْ كانَ هذا الكَـــوْنُ دَبَّـــرَ نَفْـــسَهُ

مِـــنْ بَعْـــدِهِ أَمْ آثَـــرَ التَّعْطِـــيلا

اجْزُوا اليَهُـــودَ بِـــصَلْبِه خَيـــراً ولا

تُخْـــزُوا يَهُـــوذَا الآخِـــذَ البِـــرْطِيلا

([1]) الديوان ، ص ١٨٠ .

ثم يعود البوصيري إلى كتبهم فيورد منها ما ينفي مزاعمهم ، من ذلك ما نراه في رده على زعمهم أن المسيح عليه السلام مات مصلوباً(1) :

فدَعُوا لحديثَ الصَّلْبِ عنهُ وَدُونكُمْ
مِنْ كُتْبِكُمْ مَا وافَقَ التَّنْزِيلا

شَهِدَ الزَّبُورُ بِحِفْظِهِ ونَجاتِهِ
أفَتَجْعَلُونَ دَلِيْلَهُ مَدْخُولا

أيَكُونُ مَنْ حَفِظَ الإلهُ مُضَيَّعاً
أو مَنْ أُشِيدَ بِنَصْرِهِ مَخْذُولا ؟

أيَجُوزُ قَوْلُ مُنَزِّهٍ لإلهِهِ
سُبحانَ قَاتِلِ نَفْسِهِ شَأْقُولا ؟

يُعقب البوصيري على هذه الأبيات بما أورده من الزبور فيقول : "في زبور داود عليه السلام : (إن الله تعالى نجى مسيحه واستجاب له من سماء قدسه) وكذلك قوله – والكلام للبوصيري – : (إن الله يوصي ملائكته بك ليحفظوك) فإذا لم يكن ذلك الحفظ وتلك النجاة من الصلب والقتل ، فماذا يكون ؟ وليس عند النصارى ولا اليهود خبر يأتون به ، ولا رواية صحيحة ، أن المسيح صلب ، فإنّ أحداً ما حضره من أصحابه عندما أخذ شبهه ، ولا كانت اليهود

(1) الديوان ، ص ١٨٠ .

يعرفونه ، وإنَّما دلهم عليه رجل يقال له يهوذا ، ويسمونه يودنس الأسخريوطي ، وكان فيمن آمن بالمسيح وارتد"([1]) .

وفي تفنيد فكرة الأقانيم الثلاثة التي يدين بها النصارى يقول البوصيري([2]) :

ضلّ النَّصارَى في المَسِيحِ وأقْسَموا
لا يَهْتَـدونَ إلـى الرَّشـادِ سَـبيلا
جعلوا الثَّلاثَةَ واحِداً ولـو اهتَـدَوْا
لَمْ يَجْعَلـوا العَـدَدَ الكَثيـرَ قَلـيلا
عَبَـدُوا إلهـاً مِـنْ إلـهٍ كائنـاً
ذَا صُـورَةٍ ضَـلوا بهـا وهَيُـولَى
ضَلَّ النَّصارَى واليَهودُ فـلا تَكُـنْ
بِهِمِ علـى سُـبُلِ الهُـدَى مَـدْلُولا
والمُدَّعُو التَّثْلِيـثِ قَـوْمٌ سَـوَّغُوا
مـا خَـالفَ المَنقـولَ والمَعْقـولا

وبعد أن تتبع البوصيري مزاعم النصارى وفندها ، عرّج على اليهود ومزاعمهم ، وبدأ بالحديث عن اتخاذهم العجل

([1]) الديوان ، ص ١٨٠ .

([2]) الديوان ، ص ١٨١ .

إلهاً ، ثم انتقل للحديث عن فساد عقيدتهم ، وتحريفهم التوراة ، وما أضافوه إليها من أباطيل([1]) :

والعَابِدُونَ العِجْلَ قَـدْ فُتِنُـوا بـِهِ

ودُّوا اتِّخَـاذَ المُرْسَـلينَ عُجُـولا

فإذا أتَـتْ بُـشْرَى إلـيهمْ كَـذَّبُوا

بِهَـوَى النُّفُـوسِ وقُتِّلُـوا تَقْتِـيلا

وكَفَى اليَهـودَ بـأنَّهُم قَـدْ مَثَّلُـوا

مَعْبُـودَهمْ بِعِبَـادِهِ تَمثِـيلا([2])

ثم استرسل البوصيري في تبيين فساد عقيدتهم ، وتحدث عما فعلوه بالأنبياء ، وأسهب في الحديث عن موسى عليه السلام وما نسبوا إليه من الأقوال والأفعال ، من ذلك ما نراه في قوله([3]) :

وحَدِيثُهُمْ في الأنبيـاءِ فَـلا تَـسَلْ

عنـه وخَـلِّ غِطَـاءَهُ مَـسْدُولا

لَـمْ يَنْتَهُـوا عَـنْ قَـذْفِ داوُدَ ولا

لُـوطٍ فكيـفَ بِقَـذْفِهِم رُوبِـيلا

([1]) الديوان ، ص ١٨٢ .

([2]) قال البوصيري في معنى هذا البيت : "وفي التوراة ما يدل على التبديل : أن الله تعالى كالإنسان شخص وجوارح" . الديوان ، ص ١٨٢ .

([3]) الديوان ، ص ١٨٥ – ١٨٦ .

وَعَزَوْا إلــى يَعْقــوبَ مِــنْ أَوْلادِهِ

ذِكْراً مــن الفِعْــلِ القَبِــيحِ مَهــولا

وإلى المَسيحِ وأُمِّــهِ وَكَفــى بهــا

صِــدِّيقَةً حَمَلَــتْ بِــهِ وبَتُــولا([1])

ولِمَنْ تَعَلَّــقَ بالــصَّلِيبِ بِــزَعْمِهِمْ

لَعْنــاً يَعُــودُ علــيهِمُ مَكْفُــولا

وَجَنَوا على هارونَ بالعِجْلِ الــذي

نَــسَبُوا لَــهُ تَــصْوِيرَهُ تَــضْلِيلا

وَبِأَنَّ موسى صَوَّرَ الــصُّوَرَ التــي

مــا حَــلَّ منهــا نَهْيُــهُ مَعْقُــولا

وبعد تفنيد مزاعم اليهود والنصارى ، تعود هذه القصيدة - المخرج والمردود -([2]) وتلتقي مع قصائد المدح النبوي ، إذ

([1]) البتول : المنقطعة عن الرجال لا أرب لها فيهم ، ويقال : هي المنقطعة إلى الله عز وجل عن الدنيا .

([2]) يمكن تقسيم القصيدة إلى ثلاثة أجزاء ، خصص الجزء الأول منها لتفنيد مزاعم اليهود والنصارى ، وهو من مطلع القصيدة حتى البيت ٩٥ . أما الجزء الثاني فخصصه لذكر البشارات السماوية بالبعثة المحمدية ، وهو من البيت ٩٦ – ١٨٧ . وخصص الجزء الثالث: لمدح المصطفى صلى الله عليه وسلم وما يتصل به من ذكر صفاته وطلب شفاعته ، ويمتد من البيت ١٨٨ حتى آخر النص .

يتخذ البوصيري من حديثه عن عناد النصارى واليهود ، وكفرهم بما جاء في كتبهم مدخلا للمدح النبوي ، وفيه يسلك الطريق التي سلكها في مدائحه ، حيث يذكر صفات النبي صلى الله عليه وسلم ، وجهاده مع أصحابه في سبيل الله ، ويتحدث عن بعض المعجزات ، ثم يُظْهِر شوقه لزيارة قبر النبي ، وينتهي إلى طلب الشفاعة[1] .

أما القسم الآخر الذي يعكس موقف البوصيري من الجانب السلوكي للنصارى واليهود ، فهو الذي يدخل تحت طائلة الهجاء رغم أنه لا ينفصل عن القسم الأول ، فإذا كان في هذا الجانب سيصف النصارى بالفساد والرشوة والرياء وشهادة الزور ... ، فإنه قد سبق وأن حكم عليهم بفساد العقيدة وبطلانها ، وبالتالي لا يستنكر فساد الخُلق ممن فسدت عقيدته ، أليس قوله[2] :

إنَّ النَّصارَى واليهودَ معاشرٌ
جبلوا على التَّحْريفِ والتبديلِ
لَوْ أنَّ فيهِمْ عُورٌ عَنْ باطِلٍ
أبْقَوْا على التَّوْرَاةِ والإنجيلِ

(1) الديوان ، ص ٢١٣ – ٢١٩ .

(2) السابق ، ص ٢٣٧ .

يُغْنِي عن كل قول بعده ، إنّ نقده لسلوكهم ما هو إلاّ تأكيدٌ على موقف قد اتخذه الشاعر منهم ، وإن حشد الأدلة التي تـظهر سوء خلقهم لا يعني إلاّ الإقناع بصدق موقفه منهم ، فهو حين يقول(1) :

وَمَـا فِـيهِمُ لا بَـارَكَ اللهُ فـيهِمُ
أَخُـو قَلَـمٍ إلاَّ يَخُـونُ ويَغْـدِرُ

فإنّه لا يضيف إلاّ تكرار التأكيد على موقفه المسبق منهم ، لذلك فإنّه من المفيد أن نحاول الكشف عن مبررات هذا الموقف ، وخاصة موقفه من النصارى ، حيث لم يترك مناسبة في شعره إلاّ تعرض لهم فيها(2) .

وأكاد لا أجزم بأن غيرته على الإسلام فقط هي التي دفعته للتعرض للنصارى واليهود ، كما أنني لا أستطيع أن أزعم أن فساد ما بينه وبين النصارى في خبرته العملية معهم(3) هي

---

(1) الديوان ، ص ١٦٤ .

(2) السابق ، ص ٩٧ ، ١٦٣ ، ١٧٢ ، ٢٢٦ ، ٢٦٦ وغيرها .

(3) عانى البوصيري من سيطرة الكُتّاب النصارى ببلبيس على ديوان المحاسبة الذي كان يعمل فيه ، ولأنهم كنّوا له البغضاء حرصوا على تصيد الأخطاء الحسابية التي وقع فيها ، وأعلنوا مراراً أنه لا يصلح لمثل هذا العمل ، كما أوقفوا راتبه وجعلوه يعاني الجوع هو وأفراد أسرته . وقد بيّن البوصيري ذلك في القصائد التي نقد فيها المستخدمين . انظر : الديوان ، ص ٩٧ .

السبب الوحيد الذي جعله يتتبع فساد عقيدتهم وسوء خلقهم ، ولا نكاد نعرف السبب الأساس الذي انبثق عنه الآخر : هل هو سوء العلاقة بينه وبينهم ؟ أم الغيرة على الإسلام أولاً ؟

وأيّاً كانت الإجابة فإنّه لا ينبغي تجاهل عامل آخر لا يقل أهمية عن العاملين السابقين ، ويكمن فيما شاهده البوصيري من حملات الصليبيين وهجماتهم على بلاد المشرق الإسلامي ، وما عاناه – كغيره من المسلمين – من خيانة بعض النصارى المحليين وتعاونهم مع الصليبيين والتتار في كثير من الأحيان ، ولكل ما سبق واكبت معارك البوصيري الخاصة مع النصارى تصدي المسلمين للحملات الصليبية(1) .

---

(1) عاش البوصيري جزءاً من حياته في كنف الدولة الأيوبية ، وشاهد الهجمات الصليبية على المشرق الإسلامي ، وعاش الأوضاع التي عاشتها البلاد الإسلامية ، فشهد في صباه الحملة الصليبية الخامسة التي جاءت لتوسيع ملك الصليبيين ، حيث احتلت دمياط سنة ٦١٦هـ ، كذلك شهد الحملة الصليبية السادسة ، التي استطاع قائدها "فردريك الثاني" الحصول على بيت المقدس كهدية من الملك الكامل سنة ٦٢٦هـ . وفي عنفوان شبابه شاهد اعتراف الدولة الأيوبية بحق الصليبيين في الشقيف والجليل وبيت لحم والقدس والمجدل وعسقلان .. وغيرها وذلك سنة ٦٣٨هـ . وقبل أفول نجم الدولة الأيوبية شاهد البوصيري احتلال الصليبيين لدمياط سنة ٦٤٧هـ . كما شاهد نجاح شجر الدر بعد وفاة زوجها نجم الدين أيوب في القضاء على تلك الحملة – السابعة – وتحرير دمياط ، كذلك شاهد

النقد الاجتماعي :

يدخل هجاء البوصيري – في معظمه – تحت باب النقد الاجتماعي ، وذلك لأنه يتناول الآفات التي كانت منتشرة بين مستخدمي الدولة آنذاك ، كالخيانة ، والسرقة ، والارتشاء ، والخلافات الطائفية ، وغيرها ... ، ورغم أن الدافع الشخصي

انتقال السلطة للمماليك ، وشاهد الزحف المغولي وهو يلتهم البلدان الإسلامية ، ويطيح بخلافة المسلمين في بغداد سنة ٦٥٦هـ . وعانى من النصارى – محليين وغازين – ومن تواطئهم مع التتار ، واستفزازهم مشاعر المسلمين ، ومجاهرتهم بالمعاصي في رمضان وقولهم : "ظهر الدين الصحيح ، دين المسيح" .

وفي كنف دولة المماليك عاش البوصيري لحظات النصر والتحرير ، فشاهد قلاوون وجند المسلمين يحررون أنطاكية سنة ٦٦٦هـ ، ويطيحون بأقوى إمارة صليبية في المشرق ، كذلك شاهد بيبرس وهو يطهر الشام من الوجود الصليبي سنة ٦٦٩هـ . ولما تحالف التتار مع الصليبيين وحاولوا احتلال حمص ، تغنى البوصيري ببطولة قلاوون الذي تمكن من القضاء على ذلك التحالف سنة ٦٨٠هـ . وعندما احتلت الحملة الإيطالية عكا سنة ٩٨٦هـ وقتلت وسلبت .. ترقب البوصيري لحظة التحرير التي لم تكن بعيدة ، حيث تمكن خليل بن قلاوون من استئصال الوجود الصليبي من المشرق الإسلامي بأسره سنة ٦٩١هـ . وهكذا نستطيع فهم سبب اهتمام البوصيري بالنصارى ومعاركه التي أدارها ضدهم في شعره .

هو أهم ما يميز الهجاء عن النقد الاجتماعي ، وأن البوصيري في تعرضه لمستخدمي الدولة كان يصدر عن دافع شخصي أحياناً([1])، إلاّ أن توفر ذلك الدافع الشخصي لا ينفي كون شعره نقداً اجتماعياً ، فمعاناة البوصيري من مستخدمي الدولة هي دليل على معاناة الرعية ، فهو لا يتعرض لزيد أو عمرو ، بل

([1]) لقد حاربه المستخدمون في قوته – كما رأينا آنفاً – حينما حالوا بينه وبين العمل في الديوان ، لذلك رصد أفعالهم المشينة ، وكشف ممارساتهم السيئة ضد الرعية ، وحرض عليهم الحكام ، وقد بادله المستخدمون كرهاً بكره ، وتمنوا موته لكي يتخلصوا من ملاحقته لهم ، "والدليل على ذلك أنه مرض مرة ، وأغمي عليه لمدة طويلة ، فأشاع الناس أنه مات ، وتناقلوا خبر موته ، ولكنه برئ وسجل فرحه بشفائه ، وعرّض بأعدائه الذين أشاعوا خبر موته بقوله :

عَاشَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ البُوصِيرِيْ
وَحَيَاةُ الكِلَابِ مَوْتُ الحَمِيْرِ
عَاشَ قَوْمٌ مُذْ قِيْلَ إِنِّي قَدْ مِتُّ
فَمَاتُوا قَبْلِي بِوَخْزِ الصُّدُورِ
لَسْتُ مِمَّنْ يَمُوتُ أَوْ يَقْدُمُونِي
وَأَبْكِي عَلَيْهِمُ فِيْ القُبُورْ
وَصَحِيْحٌ بِأَنَّنِي كُنْتُ قَدْ مِـ
ـتُّ وَأَحْيَانِي جُودُ هَذَا الوَزِيْرِ

الديوان ، ص ٩ ، ٢٨٠ .

يتعرض لكل رجل من رجال الدولة خان الأمانة في أثناء قيامه بعمل رسمي كُلِّفَ به ، وبالتالي فقد ذابت المصلحة الشخصية في المصلحة العامة ، فهو حين يقول[1] :

ثَكِلْتُ طَوائِفَ المُسْتَخْدَمِينا ... فَلَمْ أَرَ فِيهِمُ رَجُلاً أَمِينا

فَخُذْ أَخْبَارَهُمْ مِنّي شِفاهاً ... وَأَنْظِرْنِي لأُخْبِرُكَ اليَقِينا

فَقَدْ عَاشَرْتُهُمْ وَلَبِثْتُ فِيهِمْ ... مَعَ التَّجْرِيبِ مِنْ عُمْرِي سِنِينا

حَوَتْ بِلْبَيْسُ طائِفَةً لُصوصاً ... عَدَلْتُ بِواحِدٍ مِنْهُمْ مِئِينا

فإنه يعلن الحرب على جميع المستخدمين ، الذين عاشرهم واطلع على ألوان خيانتهم ، وقد أمدَّه صدق الإحساس بمآسي شعبه ، ومصابهم في مستخدمي دولتهم بطول النفس ، والقدرة على الإقناع بالصور الاجتماعية التي يرسمها ، والمعاني النقدية التي يطرحها ، والأدلة والبراهين التي يقدمها ، والتي

---

(1) الديوان ، ص ٢٦٦ .

منها حديثه عما بدا عليهم من ألوان النعمة ، وما جاهروا به من المعاصي(١) :

وَلَـــوْلا ذاكَ مَـــا لَبِـــسُوا حَرِيـــراً
ولا شَـــرِبُوا خُمُـــورَ الأَنْـــدَرِينا(٢)
ولا رَبَّـــوْا مِـــنَ المُـــرْدانِ قَوْمـــاً
كَأَغْـــصانٍ يقُمْـــنَ ويَنْحَنِينـــا
وقَـــدْ طَلَعَـــتْ لِبَعْـــضِهِمْ ذُقُـــونٌ
ولكِـــنْ بَعْـــدَ مَـــا نَتَفُـــوا ذُقُونـــا

ونلحظ ثورة الشاعر ، وصدق إحساسه بمصاب شعبه حينما ينتقد الوزير المختص ، ويتهمه بالغفلة عما يدور حوله(٣) ، ونرى البوصيري يتميز غيظا ، ويلتهب حسرة على

---

(١) الديوان ، ص ٢٦٦ .

(٢) ذلك : تشير إلى خيانتهم التي ذكرها في بيت سابق .

(٣) والبوصيري في هذه القصيدة المتخصصة في عرض ألوان الفساد بين طوائف المستخدمين لا يفوته فرصة في تحريض ذلك الوزير على القصاص فهو بعد كل مشهد يقدمه يحث ذلك الوزير بمثل قوله :

فَلا تَقْبَلْ عَفافَ المَرْءِ حتَّى ترَى الجَماعَةُ مُتَعَفِفينا

وكقوله :

وَفي دارِ الوِلايَةِ أيُّ نَهْبٍ فَلَيْتَكَ لَوْ نَهَبْتَ النَّاهِبِينا

– انظر : الديوان ، ص ٢٦٦ – ٢٧١ .

على مقدرات قومه المنهوبة ، وهو يُذَكِّر ذلك الوزير بأصحاب الحق في هذه الأموال ، إنهم الجند ، الذين حموا العباد والبلاد من هجمات الصليبيين والتتار ، إن المصلحة العامة تستدعي توظيف تلك الأموال في شراء الأسلحة وتحصين البلاد(١) :

أمَوْلانـــا الـــوزيرَ غَفَلْـــتَ عَمَّـــا
يُهِـــمٌّ مِـــنَ الكِـــلابِ الخَائنينـــا

أتُطْلَـــقُ جامكِيَّـــاتٌ لقَـــوْمٍ
وتُنْفَـــقُ فَـــيْءَ قَـــوْمٍ آخَرِينَـــا(٢)

فَـــلا تُهْمَـــلْ أُمُـــورَ المُلْـــكِ حَتَّـــى
يَـــذِلَّ الجُنْـــدُ للمُتَعَمِّمينـــا

فَهَـــلْ مَلَكُـــوا بِـــأقْلامٍ قِلاعـــا
وهَـــلْ فَتَحُـــوا بِـــأوْرَاقٍ حُـــصُونا

ومَـــنْ قَتَـــلَ الفِـــرنجَ أشَـــدَّ قَتْـــلٍ
ومَـــنْ أسَـــرَ الفَرَنْـــسِيسَ اللَّعِينـــا

ومَنْ خَاضَ الهَـــواجِرَ وهُـــوَ ظَـــامٍ
إلَـــى أنْ أوْرَثَ التَّتَـــرَ المَنُونـــا

---

(1) الديوان ، ص ٢٦٧ – ٢٦٨ .

(2) جامكيات : كلمة فارسية معناها معاشات .

ولاقُوا المَوْتَ دُونَ حَـريمِ مِـصْرٍ
وَصَـانُوا المَـالَ مِـنْهُمْ وَالبَنِينـا
وَمَـا أحَـدٌ أَحَـقَّ بِأَخْـذِ مَـالٍ
مِـنَ الأَتْـرَاكِ والمُتَجَنـدِينا
ومَـنْ لَـمْ يَـدَّخِرْ فَرَسـاً جَـوَاداً
لِوَاقِعَـةٍ وَلا سَـيْفاً ثَمِينـا
فَبَعْدَ المَوْتِ قُـلْ لِـي أَيُّ شَـيءٍ
لَـهُ فِـي بَيْـتِ مَـالِ المُـسْلِمِينا
إذَا أُمَنَاؤُنَـا قَبِلُـوا الهَـدَايا
وَصَـارُوا يَتْجِـرُونَ وَيَزْرَعُونَـا
فَلِمَ لا شَـاطَرُوا فِيمَـا اسْتَفَادُوا
كَمَـا كَـانَ الصَّحَابَةُ يَفْعَلُونَـا
وَكُلُّهُـمُ عَلَـى مَـالِ الرَّعَايَـا
وَمَـالِ رُعَـاتِهِمْ يَتَحَيَّلُونَـا

والبوصيري في نقده للمستخدمين لا يستثنى أيّ طائفة منهم ، فهو في سبيل المصلحة العامة لا يميز بين فقيه استغل منصبه ونصراني أو يهودي ، بل قد يكون الفقيه أكثر خطراً -

كما يرى البوصيري - لأنه أقدر من غيره على جعل العدل ظلما ، والباطل حقا ، من ذلك ما نراه في قوله([1]) :

تَحَيَّلَتِ القُضَاةُ فَخَانَ كُلٌّ

أمانَتَهُ وسَمَّوْهُ الأَمِينَا

وكَمْ جَعَلَ الفَقِيهُ العَدْلَ ظُلْماً

وَصَيَّرَ بَاطِلاً حَقَّاً مُبِينَا

وما أَخْشَى على أمْوَالِ مِصْرٍ

سِوَى مِنْ مَعْشَرٍ يَتَأَوَّلُونَا

يقُولُ المُسلِمُونَ لَنَا حُقُوقٌ

بها ولَنَحْنُ أَوْلَى الآخِذِينا

وقَالَ القِبْطُ إِنَّهُمُ بِمِصْرَ الـ

ـمُلُوكُ ومَنْ سِوَاهُمْ غَاصِبُونا

وحَلَّلَتِ اليَهُودُ بِحِفْظِ سَبْتٍ

لَهُمْ مَالَ الطَوائِفِ أجْمَعِينَا

فَلا تَقْبَلْ مِنَ النُّوَّابِ عُذْراً

ولا النُّظَّارِ فِيمَا يُهْمِلُونَا

والبوصيري في هجاء المستخدمين ، ونقد أفعالهم المشينة لا يعتمد على الخبرة الشخصية فقط ، بل إن مشاعره

([1]) الديوان ، ص ٢٦٨ .

تثور لمعاناة الرعية من الظلم أينما وقع ، فهو حينما يسمع بما وقع على أهل أسوان من الظلم ومصادرة الأموال ، تغلي مراجل الشعر في صدره فينظم قصيدة طويلة يصور فيها ألوان الظلم ، ومعاناة أهل أسوان ، ويرفعها لسلطان مصر ، ومطلعها(١) :

انْظُرْ بحَقِّكَ فــي أمْــرِ الــدَّواوينِ
فالكلُّ قدْ غيَّرُوا وضْــعَ القَــوانينِ

لَمْ يبْقَ شَيءٌ علَى ما كُنْتَ تَعْهَــدُهُ
إلاَّ تَغيَّــرَ مِــنْ عــالٍ إلــى دُونِ

الكــاتِبُونَ ولَيْــسُوا بــالكِرامِ فمــا
مِنْهُمْ على المَالِ إنْــسانٌ بِمَــأمُونِ

والكُلُّ جَمْعاً بِبَذْلِ المَالِ قد خَــدَمُوا
وما سَمِعْنا بِهــذا غيــرَ ذا الحِــينِ

وبعد أن يثير مشاعر السخط ، ويدمي القلوب بما يقدمه من صور البؤس والمعاناة ، يُحرِض البوصيري سلطان مصر والشام على كشف البلاء عن أهل أسوان ، ويرى أن جهاد عامل أسوان ومستخدميه يُقدّم على جهاد التتار والصليبيين ، بل إن كشف الغمة

---

(١) الديوان ، ص ٢٦٢ .

عن الرعية هي الطريق الأمثل لكسب مرضاة الله عز وجل كما يقول البوصيرى([1]) :

فَقُلْ لِسُلْطَانِ مِصْرَ والشــآمِ مَعــاً
يا قَاهِراً غَيْــرَ مَخْفِــيٍّ البَــرَاهينِ
اكْشِفْ بِنَفْسِكَ أُسْوَاناً ومَــنْ مَعَهــا
مِنَ الــصَّعيدِ بَــلاَ قَــوْمٍ مَــسَاكِينِ
عُمَّالُها قَدْ سَــبَوْهُمْ مِــنْ تَطَلُّــبِهِمْ
ما لا يَكُونُ بِمَفْــرُوضٍ ومَــسْنُونِ
سَبَوا الرَّعيَّةَ لَمْ يُبْقُوا علــى أَحَــدٍ
ولا أَمانَـــةَ لِلقِـــبْطِ المَلاعِـــينِ
لا تَأْمَنَنَّ علــى الأَمْــوَالِ سَــارِقَها
ولاَ تُقَـــرِّبْ عَـــدُوَّ اللهِ والـــدِّينِ
وخَلِّ غَزْوَ هُلاكو وَالفَــرَنْسِ مَعَــاً
وانْـهَضْ بِفُرْسانِكَ الغُــرِّ المَيَــامِينِ
واغْزُنَّ عَامِلَ أُسْــوَان تَنَــالُ بِــهِ
جَنَّــاتِ عَــدْنٍ بِإِحْــسانٍ وتَمكِــينِ

([1]) السابق ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

وبعد .. فهل نجاوز الحقيقة إذا قلنا إن البوصيري لم يقل في الهجاء شعراً ، وإن هجاء المستخدمين الذي انتشر بين طيات ديوانه بصورة ملحوظة ما هو إلاّ نقد اجتماعي يهدف إلى تحقيق مصلحة عامة([1]) ؟

إن مثل هذه المقولة قد تبدو متعارضة مع قول أحد معاصريه : "كان البوصيري على غزارة فضله ، ممقوتا ، لإطلاق لسانه في الناس بكل قبيح ، وذكره لهم بالسوء في مجالس الأمراء والوزراء"([2]) ، ولكن ديوانه يشهد على عدم

([1]) يبدو أن البوصيري قد أفلح في تحقيق بعض غاياته في هذا المجال ، حيث أمر الملك الظاهر بكسر أوعية الخمر وعاقب شاربها ، وقد عبر البوصيري عن سعادته بذلك فقال :

نَهى السُّلْطانُ عَنْ شُرْبِ الحُمَيَّا   وَصَيَّرَ حَدَّهَا حَدَّ اليَمَانِيْ
فَمَا جَسَرَتْ مُلُوكُ الجِنِّ مِنْهُ   لِخَوْفِ القَتْلِ تَدْخُلُ في القَنَانِيْ

الديوان ، ص ٢٨٠ . كذلك تم له بعض ما أراد من معاقبة مستخدمي الدولة على خيانتهم ، وقد تم طرد النصارى من الوظائف الحكومية سنة ٦٨٦هـ . وقد سجل البوصيري سعادته بذلك في قصيدة مدح بها السلطان. انظر : الديوان ، ص ١٨٥ .

([2]) الديوان ، ص ٢٨٧ . والمقولة لشهاب الدين محمود ، وتحمل في طياتها الدلالة على أن الذين مقتوا البوصيري كانوا من المستهدفين بنقده ، فهم من ذوى المناصب الحكومية ، ولو كانوا من عامة الناس لما كان ضرورة لذكرهم في مجالس الأمراء والوزراء ، والأمراء والوزراء لا يهتمون

تعرضه لهؤلاء الذين مقتوه إلا لأنهم من المتسلطين على الرعية، إذ لم يتعرض في شعره بالهجاء إلا للمستخدمين(1) .

لسماع الأحاديث عن العامة من الناس . أما عامة الناس فقد أحبوه وتقرّبوا منه، وكما أورد الدكتور محمد زغلول سلام : "كان متى مشى في الشوارع أسرع إليه الناس يقبلون يديه حتى الصغار منهم ، وكانت تنبعث من جسده رائحة طيبة .. الأدب في العصر المملوكي ، ٢٧٤/١ .

(1) وكل ما وجدناه في الديوان عدا حديث الفكاهة والسخرية ، قوله في الشاعر زين الدين الرعاد الذي عاب شعر البوصيري هذين البيتين :

لَقَدْ عابَ شِعْرِي في البَرِيَّةِ شَـاعِرٌ
ومَنْ عَابَ أشْعارِي فلا بُدَّ أنْ يُهْجَا
وشِـعْرِي بَحْرٌ لا يُوَافِيـهِ ضِـفْدَعٌ
وَلا يَقْطَعُ الرَّعَادُ يَوْمـاً لَـهُ لُجَّـا

الديوان ، ص ٢٧٧ .

المدح :

أما المدح فقد عالجه البوصيرى طلبا للرزق ، كما شدا ببطولات من استحق المدح وحاز الإعجاب .

وكان للمدح المادي المبنى على الطمع نصيب وافر يتناسب مع فاقة البوصيري وقلة رزقه ، لذلك امتزج مدحه هذا غالبا بالحديث عن سوء أحواله وكثرة عياله ، وما يعانون من الحرمان ، من ذلك قوله[1] :

يَا أيُّهـا المَـوْلَى الـوزِيرُ الـذي
أيَّامُـه طَائِعـةٌ أمْـرَهْ

ومَـنْ لَـهُ مَنْزِلَـةٌ فـي العُـلا
تَكِـلُّ عَـنْ أوْصـافِها الفِكْـرَهْ

أَخْلاقُكَ الغُرُّ دَعَتْنـا إِلـى الـ
إِدْلاءِ في القَـوْلِ علـى غِـرَّهْ[2]

إذْ لَمْ تَـزَلْ تَـصْفَحُ عَمَّـنْ جَنَـى
وتُـؤْثِرُ العَفْـوَ مَـعَ القُـدْرَهْ

---

(1) الديوان ، ص ١٦٥ – ١٦٦ .

(2) يشير في هذا البيت إلى عدم تقديمه ما يكفى من المدح ، ويعتذر للممدوح بطمعه في كريم خلقه .

حتَّى لَقَدْ يَخْفَى علــى النَّــاسِ مــا

تُحِــبُّ مـــن أمْـــرٍ ومـــا تَكْـــرَهْ

إليـــكَ نَـــشْكُو حَالَنَـــا إنَّنَـــا

عَائِلَـــةٌ فـــي غَايَـــةِ الكَثْـــرَهْ

أحَـدِّثُ المَـولَى الحَـدِيْثَ الـذي

جَـرَى عَلَـيْهِم بِـالخَيْطِ والإبْـرَهْ

صَـامُوا مـع النَّـاسِ ولكـنَّهمْ

كـانُوا لِمَـنْ يُبْـصِرُهُم عِبْـرَهْ

إنْ شَـرِبُوا فـالبِئْرُ زِيـرٌ لهُـمْ

مـا بَرِحَـتْ والـشَّرْبَةُ الجَـرَّهْ

لهُـمْ مـن الخُبَيْـزِ مَـسْلُوقَةٌ

فـي كُـلِّ يَـوْمٍ تُـشْبِهُ النَّـشْرَهْ

أقُـولُ مَهمـا اجْتَمعُـوا حَوْلَهـا

تنَزَّهُـوا فـي المَـاءِ والخُـضْرَهْ

وأقبَـلَ العِيـدُ ومـا عِنْـدَهُم

قَمْـحٌ ولا خُبْـزٌ ولا فِطْـرَهْ

فـارْحَمْهُمُ إنْ أبْـصَرُوا كَعْكَـةً

فـي يَـدِ طِفْـلٍ أوْ رَأوْا تَمْـرَهْ

تَـــشْخَصُ أَبْـــصَارُهمْ نَحْوَهـــا

بِـــشَهْقَةٍ تَتْبَعُهـــا زَفْـــرَهْ

يحاول البوصيري في الأبيات السابقة استدرار عطف ممدوحه بما يقدمه له من صور مؤلمة تثير في النفوس الشفقة والرحمة ، فهذا مشهد يصور متاع البيت الذي خلا حتى من إناء الشرب ومن القمح أو الخبز ، ويعقبه مشهد آخر لأولاده وهم يتحلقون – بعد صيام يومهم– حول الخبيزة المسلوقة ، والأب الحزين يتابع ذلك النهم بدعابة ممزوجة بالشفقة ، فيقول لهم : "تنزهوا في الماء والخضرة" ، ومشهد ثالث تنفطر له القلوب ، وفيه نرى أولاد البوصيري يوم عيد الفطر وهم ينظرون إلى الكعك والتمر في أيدي الصبية ، فتشخص أبصارهم ، ويرسلون شهقات الحسرة والحرمان تباعا ..

وببراعة فائقة يؤكد البوصيري أنه لا يطلب هبة أو صدقة أو إحسانا ، بل إنه طالب حق ، إنه موظف في ديوان محاسبة بلبيس ، وقد تآمر المسئولون في ذلك الديوان عليه ، وأوقفوا راتبه ، هذا ما يخبرنا به قوله(1) :

(1) الديوان ، ص ١٦٦ .

مـــا صِــرْتَ تَأْتِينَـــا بِفِلْـــسٍ ولا
بِـــــدِرْهَمٍ ورَقٍ ولا نُقْــــرَهْ([1])
وَأنــــتَ فــــي خِدْمَــةِ قَــوْمٍ فَهَــلْ
تَخْــدُمُهُمْ يــــا أبَتــــا سُــخْرَهْ
يا خَيْبَــةَ المَــسْعَى إذا لَــمْ يكُــنْ
يَجْــرِي لنـــا أجْـــرٌ ولا أُجْـــرَهْ

ولعل هذا هو السبب في جنوح البوصيري إلى المباشرة في بداية قصيدته ، فهو في غير حاجة إلى تملق الوزير ، لذلك لم يسهب في مدحه ، بل مدحه بما يناسب المقام ، ثم قدّم شكايته التي شرحت سوء حاله ، وحثت على إنصافه ممن كانوا السبب في وقف راتبه ، والذين أوصلوه وأسرته إلى أقصى درجات البؤس ، ففي المشهد الختامي من هذه القصيدة نرى معركته مع زوجته التي أعلنت الثورة على تلك الحياة البائسة ، إذ يقول([2]) :

وَيَـــوْمَ زَارَتْ أُمُّهُــمْ أُخْتَهــا
والأُخْـــتُ فـــي الغَيْـــرَةِ كالـــضَرَّةْ

([1]) النقرة : سبيكة من الذهب أو الفضة – والورق : الدراهم المضروبة .
([2]) الديوان ، ص ١٦٧ .

وأقْبَلَتْ تَشْكو لها حالَها

وَصَبرَها منِّي على العُسْرَهْ

قالتْ لها كيفَ تكونُ النِّسا

كذا مَعَ الأزواجِ يا غِرَّهْ

قُومي اطْلُبِي حقَّكِ منه بِلا

تَخلُّفٍ منكِ ولا فَتْرَهْ

وإنْ تأبَّى فَخُذي ذَقْنَهُ

ثُمَّ انتفيْها شَعْرَةً شَعْرَهْ

قالتْ لها ما عادتي هكذا

فإنَّ زوْجي عِنْدَهُ ضَجْرَه

أخافُ إنْ كَلَّمْتُهُ كلمةً

طَلَّقَني . قالتْ لها : بَعْرَهْ

فَهوَّنَتْ قَدْري في نفسِها

فجاءتْ الزَّوْجةُ مُحْتَرَّهْ

فَاسْتقْبَلْتُني فَتَهدَّدْتُها

فاستقبلتْ رأسي بآجُرَّهْ

وَبَاتَتْ الفِتْنَةُ ما بيْنَنا

مِنْ أوَّلِ اللَّيلِ إلى بُكْرَهْ

ومَـــا رأى العَبْــدُ لـــه مَخْلَــصاً
إلاّ ومَـــا فـــي عَيْنِـــهِ قَطْـــرَهْ
فَحَـــقٌ مَــــنْ حالَتُـــهُ هـــذهِ
أنْ يَنْظُـــرَ المَـــوْلَى لــهُ نَظْـــرَهْ

وإشارة البوصيري – في النص السابق – إلى راتبه الموقوف ، ومطالبته به ، لا تُتخذ دليلا على تعففه عن طلب العطاء ، بل قد تدلل على سوء ظنه بممدوحه ، والدليل على ذلك كثره مدحه للوزراء والأمراء والحديث عن سوء حاله وكثرة عياله ، ثم طلب العطاء صراحة ، من ذلك قوله([1]) :

مَــنْ لِــشَيْخٍ ذِى عِلَّـــةٍ وعيـــالِ
ثَقَّلَـــتْ ظَهْـــرَهُ بِغَيـــرِ ظَهيـــرِ
أَثْقَلُـــــوهُ وكلَّفُـــــوهُ مَـــــسيراً
ومِـــنَ المُـــسْتَحِيلِ سَـــيْرُ ثَبيـــرِ
فَهْوَ في قَيْدِهِمْ يُـذادُ مِـن الـسَّـ
ـعيِ لِتَحْـصيِلِ قُـوتِهمْ كالأسـيرِ

وفي قصيدته التي قالها في مدح شمس الدين عيسى السنجارى ، التي مطلعها([2]) :

([1]) الديوان ، ص ١٥٥ – ١٥٦ .
([2]) الديوان ، ص ١٦٨ .

إنْ تُحْيَ آمَـالي بِرُؤْيَـةِ عيـسى

فَلطالَمَـا أنْـضَتْ إليـه العِيْـسَا

وفي خضم مدحه نلحظ عدم ثقته بسخاء ممدوحه ، لذلك نجده يحثه على الكرم بقوله :

يَا بنَ الذي يَلْقَى الفَوارِسَ باسِـماً

حَاشَاكَ أنْ تَلْقَى الضُّيوفَ عَبُوسَـا

وإن محاولات البوصيري إعلان تعففه عن طلب العطاء، ورفضه مقايضة الشعر بالمال إنما هي دليل واضح على عدم ثقته بكرم ممدوحه ، ومحاولة بارعة لاثارة نخوة ذلك الممدوح ألا يبدو هذا في مثل قوله([1]) :

مَدِيحُهُ فيـكَ حُـرٌّ لَـيس يَمْلكُـهُ

مِـنَ الجَـوائزِ أثمَـانٌ ولا أُجَـرُ

إنَّ الأَديـبَ إذا أَهْـدَى كرائِـمَهُ

فَقَصْدُهُ شَرَفُ الأنْـسابِ لا المَهـرُ

تَبّاً لِقَوْمٍ قَدْ اسْتَغْنَوا بمـا نَظَمُـوا

مِنِ امْتِداحِ بَنِي الدُّنْيَا ومَـا نَثَـرُوا

فلوْ قَفَـوْتُ بأَخْـذِ المَـالِ إثْـرَهُمُ

لَعَـوَّقَتْني القَـوافِي فيـكَ والفِقَـرُ

([1]) السابق ، ص ١٤٣ .

خَيْرٌ مِنَ المَالِ عِنْدِي مَدْحُ ذِي كَرَم

ذِكْرَى بِمَدْحِي لهُ في الأرضِ يَنْتَشِرُ

لقد ختم قصيدته بطلب العطاء صراحة حين قال :

وَقَدْ دَعَتْ لكَ مِنِّـي كُـلُّ جارِحَـةٍ

وبالإِجَابَـةِ فَـضْلُ اللهِ يُنْتَظَـرُ

ولكن هل يستجيب الممدوح ؟ إن البوصيري يجيب بالنفي في غير موضع ، من ذلك قوله[1]:

لا تَكِلْنِـي إلـى سِـواكَ فَأخْيَـا

رُ زَمـاني لا يَمْنَحُـونَ خِيَـارَهْ

وَوُجُـوهُ القُـصَّادِ فيـه حَدِيـدٌ

وَقُلـوبُ الأَجْـوادِ فيـه حِجَـارَه

لذلك قد لا نعجب إذا رأينا البوصيري يعلن عزوفه عن طلب العطاء ، ويقرر أنه لن يمدح إلاّ من يستحق المدح دون انتظار المقابل[2] :

ومَا خُلُقِي مَدْحُ اللَّئِـيمِ وإنْ عَلَـتْ

بِـهِ رُتَـبٌ لا أنَّنِـي مُتَكَبِّـرُ

([1]) الديوان ، ص ١٣٣ .

([2]) السابق ، ١٦٣ .

وَلا أَبْتَغِي الدُّنْيَا وَلا عَرَضــاً بِهــا

بِمَــدْحِي فَــإِنِّي بِالقَنَاعَــةِ مُكْثِــرُ

والبوصيري كغيره من شعراء عصره ، يعجبه الفعل الحسن فيبدي إعجابه به ، وأحسن الأفعال عنده هي إصلاح الجبهة الداخلية وتطهيرها من المتسلطين على مقدرات الناس وتأمين الجبهة الخارجية والتصدي لخطر الأعداء من تتار وصليبيين .

وعلى صعيد الجبهة الداخلية رأينا تحريضه للوزراء على إصلاح المفاسد ، ومدحه لمن قام منهم ببعض الإصلاحات[1].

---

(1) الديوان ، ص ١٣٦ ، ١٥٨ – ١٦٥ ، ٢٨٠ .

الوصف :

وقد استحق من بَنَي مستشفى ومدرسة ودار عبادة ، تخليد ذكره بقصيدة مدح بالغة الطول ، تنم عن صدق مشاعر البوصيري وهو يتغنى بمناقب ممدوحه ، الذي اهتم بمقاومة الجهل والمرض كاهتمامه بمقارعة الأعداء ، ومطلعها(١) :

جِوَارُكَ مِنْ جَـوْرِ الزَّمَـانِ يُجِيْـرُ
وَبِـشْرُكَ للرَّاجِـي نَـدَاكَ بَـشِيرُ

وفيها يُسَجِل إعجابه بتلك المباني ، كما يقدم فيها مقطوعات من الوصف الرائع الذي يشهد له بإجادة هذا الفن ففي وصف المئذنة قال(٢) :

فَمِئْذَنَةٌ في الجَوِّ تُشْرِقُ في الـدُّجَى
عليهـا هُـدىً للعَـالَمِيْنَ ونُـوْرُ
ومِنْ حَيْثُمَا وَجَّهْتَ وَجْهَكَ نَحْوَهـا
تَلَقَّتْـكَ مِنهـا نَـضْرَةٌ وسُـرُورُ

---

(1) الديوان ، ص ١٤٤ . والممدوح هو الملك المنصور قلاوون ، وفيها يذكر انتصاراته ، وفتح حصن المرقب ، كما يشيد ببناء المستشفى ودار العبـادة والمدرسة سنة ٦٨٤ هـ .

(2) الديوان ، ص ١٥٠ .

يَمُدُّ إليها الحَاسِدُ الطَّـرْفَ حَسْرَةً
فَيَرْجِعُ عنها الطَّرْفُ وَهْوَ حَسِيْرُ
فكَمْ حَسَدَتْهَا فـي العُلُـوِّ كواكـبٌ
وغارَتْ عليهـا في الكَمَالِ بُـدُورُ
إذا قَـامَ يَـدْعُو اللهَ فيهـا مُـؤَذِّنٌ
فمـا هُـوَ إلاّ للنُّجُـومِ سَـمِيرُ
فللنَّـاسِ مِـنْ تَـذْكارِه وآذانِـه
فُطُورٌ على رَجْعِ الصَّدَى وَسَحُورُ

ومن بديع شعره ، وجيد معانيه ، تلك الأبيات التي وصف فيها المستشفى والحدائق المحيطة به ، وتغزل بمحاسنها رغم عزوفه عن التغزل بالغيد الحسان ، قال(1) :

فَلَـوْ تَعْلَـمُ الأجْسَامُ أن تُرابَـهُ
مِهَـادُ حَيَـاةٍ للجُسُومِ وَنُشُورُ
لَسَارَتْ بِمَرْضَـاها إليـه أَسِـرَّةٌ
وصَـارَتْ بِمَوْتَاهَـا إليـهِ قُبُـورُ
ومَا عَادَ يُبْلِـي بعـدَ ذلـك مَيِّتـاً
ضَرِيحٌ ، ولا يَشْكُو المَرِيضَ سَرِيرُ

---

(1) الديوان ، ص ١٥١ .

بِجَنَّتِـــهِ وُرْقٌ تُراسِـــلُ مـــاءَهُ

يَـــشُوقُ هَـــديلٌ منهمـــا وَهَـــدِيْرُ

مَحَاسِنُها اسْتَدْعَتْ نَسِيْبِي وَمَا دَعا

نَـــسِيْبِي غَـــزَالٌ قَبـــلَ ذاكَ غَرِيـــرُ

أما المدرسة فقد حازت حفاوة الشاعر واحتفاله بها ، فراح يرسم لها الصور تباعا ، فمرة يقدمها على جميع المدارس وأخرى يفضلها على منارة الإسكندرية ، ويحار في أمرها فيزعم أن لا مثيل لها على مرّ الأزمان ، ومما جاء في وصف تلك المدرسة نجتزئ هذه الأبيات(1) :

وَمَدْرَسَـــةٌ وَدَّ الخَوَرْنَـــقُ أَنَّـــهُ

لَدَيْها حَـابِـــرٌ ، والـــسَّدِيرُ غَـــدِيرُ

مَدِيْنَةُ عِلْـــمٍ والمَـــدَارِسُ حَوْلَهَـــا

قُرَىً ، أوْ نُجُـــومٌ بَـــدْرُهُنَّ مُنِيـــرُ

تَبَدَّتْ فَـــأَخْفَى الظَّاهِرِيَّـــةَ نُورُهـــا

ولَـــيسَ بِظُهْـــرٍ للنُّجُـــومِ ظُهـــورُ

بِناءٌ كَأَنَّ النَّحْـــلَ هَنْـــدَسَ شَـــكْلَهُ

وَلانَتْ لَهُ كالـــشَّمْعِ منـــه صُـــخُورُ

---

(1) الديوان ، ١٥٢ .

ومدح جند المسلمين ، ووصف معاركهم ، والافتخار ببطولاتهم ، لون من الألوان الشعرية التي تتجلى فيها مشاعر البوصيري الصادقة ، والتي يجد فيها متنفسا للتعبير عما يجيش بنفسه اتجاه أعداء الدين والأمة ، من ذلك – مثلاً – ما نراه في وصف حصار حصن المرقب ، ذلك الحصن الذي "كان مضرة على المسلمين ، ولم يتفق فتحه لأحد من ملوك الإسلام لا للملك صلاح الدين ، ولا للملك الظاهر ركن الدين بيبرس .."(١)، وقد احتفل المسلمون في مختلف البلاد بفتح ذلك الحصن(٢)، وتمثل ابتهاج البوصيري بهذا النصر في طول نفسه ، وحرارة مشاعره ، وصدقها في وصف تلك المعركة وإعلان ثقته

---

(1) ابن كثير ، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) : البداية والنهاية ، مطبعة المعارف ، بيروت ج ١٣ ، ص ٣٠٥ .

(2) فتحه السلطان قلاوون سنة ٦٨٤ هـ وقد قيل في تخليد هذا النصر ومدح قلاوون الكثير من الأشعار ، منها قصيدة شهاب الدين محمود التي يقول في مطلعها :

اللهُ أَكْبَرُ هَذا النَّصرُ والظَّفَرُ   هذا هو الفَتْحُ لاَ مَا تَزْعُمُ السِيَرُ

وفيها يشير إلى استعصاء هذا الحصن على الفاتحين من أبطال المسلمين قبل قلاوون بقوله :

كَمْ رَامَ قَبلَك هذا الحِصْنَ مِنْ مَلِكٍ   فَطَالَ عَنْهُ ومَا في بَاعِهِ قِصَرُ

– راجع : ابن تغري بردى ، أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١٩٦٣ – ١٩٧٢، ٣١٧/٧ .

بصلابة ممدوحه – السلطان قلاوون – وبطولة جند المسلمين ، ومما قال في ذلك([1]) :

يَظُنُّونَ خَيْـلَ المُـسلمينَ يَـصدُّها
عَنِ العَدْوِ في أَرْضِ العَدُوِّ دُحُــورُ
أما زُلْزِلَــتْ بالعَادِيَــاتِ وَجاءَهَــا
مِــنَ التُّــرْكِ جَــمٌّ لا يُعَــدُّ غَفِيــرُ
فَذَاقُوا بِهِ مُرَّ الحِــصارِ فَأَصْــبَحُوا
لَهُمْ ذَلكَ الحصْنُ الحَصِيْنُ حَـصيرُ
يَصِيْحُونَ أَعْلَى السُّوْرِ خَوْفاً كَصَافِنٍ
نَفَى عَنْهُ نَــوْمَ المُقْلَتَــيْنِ صَــفِير
وَمَاذَا يَرُدُّ الــسُّورُ عَــنْهُم وخَلْفَــهُ
مِنَ الخَيْلِ سُوْرٌ والــصَّوارِمِ سُـوْرُ
ولَيْسَ لَهُمْ إلاَّ إلــى الأَسْــرِ مَلْجَــأٌ
وَإلاَّ إلى ضَــرْبِ الرِّقَــابِ مَــصِيْرُ
فَلَمَّا أَحَــسُّوا بَــأْسَ أَغْلَــبَ همَّــةً
غَــدُوٌّ إلَــيْهِمْ بِــالرَّدَى وبُكُــورُ
دَعَوْهُ وشَمْلُ النَّصرِ منهم مُمَــزَّقٌ
أَمَانــاً وجِلْبَــابُ الحَيَــاةِ بَقِيْــرُ

([1]) الديوان ، ١٤٥ – ١٤٦ .

أَعَارَهُمْ افْرَنْسِيْسُ تِلْكَ وَسِيْلَةً
رَأَى مُسْتَعِيْراً غِبَّهَا وَسَعِيْرُ
فَدَى نَفْسَهُ بِالْمَالِ وَالآلِ وَانْثَنَى
تَطِيْرُ بِهِ مِنْ حَيْثُ جَاءَ طُيُوْرُ
فَلاَ تَذْكُرُوا مَا كَانَ بِالأَمْسِ مِنْهُمُ
فَذَاكَ لأَحْقَادِ السُّيُوْفِ مُثِيْرُ
فَلَو شَاءَ سُلْطَانُ البَسِيطَةِ سَاقَهُمْ
لِمِصْرَ وَتَحْتَ الفَارِسَيْنِ بَعِيْرُ

ومما جاء في وصف شجاعة ممدوحيه في التصدي لهجمات الصليبيين والتتار ، نذكر أيضا هذه الأبيات من جملة ما قاله في مدح والي القاهرة وجنوده البواسل([1]) :

وَحِيْنَ طَارَتْ إِلَى الأَعْدَاءِ سُمْعَتُهُ
مَاتَ الفِرَنْجُ بِدَاءِ الخَوفِ وَالتَّتَرُ
فَمَا يُبَالِي بِأَعْدَاءٍ قُلُوبُهُمُ
فِيْهَا تَمَكَّنَ مِنْهُ الخَوْفُ وَالذُّعُرُ

([1]) الديوان ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ . والي القاهرة هو الأمير عز الدين أيبك الفخري ، أسندت إليه ولاية القاهرة بعد شمس الدين ابن إسباسلار الذي توفي سنة ٦٧٨ هـ .

فِيْ كُلِّ يَوْمٍ تَرَى القَتْلَـى بِصَارِمِهِ
كَأَنَّمَـا نُحِـرَتْ فِـي مَوْسِـمٍ جُـزُرُ
كَأَنَّ صَـارِمَهُ فِـي كُـلِّ مُعْتَـرِك
نَذِيْرُ مَوْتٍ خَلَـتْ مِـنْ قَبْلِـهِ النُّـذُرُ

***

تُـركٌ تَزَيَّنَـتِ الـدُّنْيَا بِـذِكْرِهِمُ
فَهُمْ لَهَا الحَلْيُ إِنْ غَابُوا وإِنْ حَضَرُوا
حكَتْ ظَوَاهِرُهُمْ حُـسْناً بَـوَاطِنَهُمْ
فَهُمْ سَوَاءٌ أَسَرُّوا القَـوْلَ أَوْ جَهَـرُوا
بِيْضُ الوجُوْهِ يَجُنُّ اللَّيْلُ إِنْ رَكِبُـوا
إِلى الوَغى ويضِـيءُ الصُّبْحُ إِنْ سَفَرُوا

وتتجلى شدة اهتمام البوصيري بالقضاء على أطماع الصليبيين والتتار ، وانشغاله –حتى في منامه – بتحرير آخر المعاقل الصليبية في الشام ، في هذه الأبيات التي بشر فيها بفتح عكا([1]) :

قَـدْ أَخَـذَ المُـسلِمُوْنَ عَكَّـا
وَأَشْـبَعُوا الكَـافِرِيْنَ صَـكا

([1]) الديوان ، ٢٧٩ .

وَسَـــاقَ سُـــلْطَانُنَا إِلَــيْهِمْ

خَـــيْلاً تَـــدُكُّ الجِبَـــالَ دَكَّـــا

وَأَقْـــسَمَ التُّـــرْكُ منـــذُ سَـــارَتْ

لا تَرْكُـــوا للفُـــرَنْجِ مُلْكَـــا

قد سمع البوصيري هذه الأبيات في منامه - على حدّ قوله - قبل أن يخرج السلطان الأشرف خليل إلى الشام لتحرير عكا .

الغزل :

أما الغزل فقد حدد البوصيري موقفه منه في كثير من قصائده(1) ، من ذلك ما نراه في قوله(2) :

ما شَاقَهُ لِغَزَالٍ فـي الظَّبَـا غَـزَلٌ
ولا لِغَانِيَـةٍ فـي طَرْفِهـا حَـوَرُ

وكذلك قوله(3) :

وَلاَ تُـشَبِّبْ بِأَوْطَـانٍ وَلاَ دِمَـنٍ
وَلاَ تُعَـرِّجْ علـى رَبْـعٍ وَلاَ طَلَـلِ
وَصِفْ جَمَالَ حَبِيْـبِ اللهِ مُنْفَـرِداً
بِوَصْفِهِ فَهْوَ خَيْرُ الوَصْفِ وَالغَـزَلِ

وإن عالجه فهو لم يصدر عن تجربة ومعاناة ، بل جاء تقليداً في مطالع مدائحه ، أو دخل في باب الدعابة والسخرية التي أُغْرِمَ بها البوصيري ، من ذلك مما تجلى في قوله على لسان فتاة راودها عن نفسها(4) :

---

(1) الديوان ، ص ١٥١ ، ٢٣٤ .
(2) السابق ، ١٤٣ .
(3) السابق ، ٢٣٣ .
(4) السابق ، ٢٧٦ .

أَهَوىً والمَـشيْبُ قَـدْ حَـالَ دونَــهْ
وَالتَّصَابِي بَعْـدَ المَـشيْبِ رُعُونَــهْ
أَبَــتِ الــنَّفْسُ أَنْ تُطِيْــعَ وَقَالَــتْ
إِنَّ حُبِّــي لاَ يَــدْخُلُ القِنِّينَــهْ
كَيْفَ أَعْصِي الهَوَى وَطِيْنَــةُ قَلْبِــي
بِــالْهَوى قَبْــلَ آدم مَعْجُوْنَــهْ
سَــلَبَتْهُ الرُّقَــادَ بَيْــضَةُ خِــدْرٍ
ذاتُ حُـسْنٍ كالــدُّرَّةِ المَكْنُونَــهْ
سُــمْتُهَا قُبْلَــةً تُــسَرُّ بِهَــا النَّفْـــ
ــسُ فَقَالَتْ كَذَا أَكُـونُ حَزِيْنَــهْ
قُلْتُ لاَ بُــدَّ أَنْ تَــسِيْرِي إِلَــى الــدَّا
رِ فَقَالَتْ : عَـسَى أَنَـا مَجْنُوْنَــهْ
قُلْــتُ سِــيْرِي فَــإِنَّنِي لَــكِ خَيْــرٌ
مِــنْ أَبٍ رَاحِــمٍ وَأُمٍّ حَنُوْنَــهْ
أَنَا نِعْــمَ القَــرِيْنُ إِنْ كُنْــتِ تَبْغِيـــ
ــنَ حَــلاَلاً وأَنْــتِ نِعْـمَ القَرِيْنَــهْ
قَالَتْ : اضْرِبْ عَنْ وَصْلِ مِثْلِي صَفْحاً
وَاضْرِبِ الخَلَّ أَوْ يَـصِيرَ طَحِيْنَــهْ

لاَ أَرَى أَنْ تَمَـــسَّنِي يَـــدُ شَـــيْخٍ

كَيْفَ أَرْضَى بِهِ لِطَـشْتِي مَـشِيئَهْ

وإذا كنا نلاحظ على هذه القصيدة سهولة الأسلوب والميل إلى التراكيب الشعبية ، وما يجري على ألسنة العامة من الأمثال والعبارات ، فإنَّ هذه الملاحظة تنطبق على معظم شعره الذي جنح فيه إلى الدعابة والسخرية ، شأنه في ذلك شأن جل شعراء عصره .

الدعابة والسخرية :

عاش البوصيري حياة جادة تلونت بمعاناة شظف العيش وقسوة الحياة ، الأمر الذي جعله لا يجيد الغزل ، كما يجعلنا لا نتوقع أن يتمتع بروح الدعابة أو السخرية ، هذا باستثناء دلالة المثل القائل "شرّ البلية ما يُضحك" ، خاصة إذا ارتبط الأمر بالفقر ، وإثارة مشاعر الشفقة ، يؤكد ذلك تلك الصور من صور السخرية والدعابة التي رواها البوصيري على لسان حمارته ، الأمر الذي يذكرنا بما قاله بشار على لسان حماره ، وما كان من وصف البهاء زهير لبغلة صاحبه ، ودعابات الجزار ، وما قاله في رثاء حماره ..([١])، ومما رواه البوصيري على لسان حمارته قصيدته التي مطلعها([٢]) :

يَـا أيُّهـا السـيِّدُ الـذي شَـهِدَتْ

أَلْفَاظُـهُ لـي بِأَنّـهُ فَاضِـلْ

والتي يقول فيها :

([1]) راجع : الشعر الفكاهي ، وما جاء في ترجمة الجزار والبهاء زهير في كتابنا : الأدب المملوكي والعثماني .

([2]) استعار ناظر الشرقية حمارة البوصيري ، فأعجبته ، فأخذها وجهز له مائتي درهم . فكتب البوصيري هذه القصيدة . الديوان ، ص ٢٣٧ .

مَـــا كَـــانَ مِثْلِــي يُعَيِّــرُهُ أَحَــدٌ

قَـــطٌّ وَلَكِـــنْ سَـــيِّدِي جَاهِـــلْ

لَـــوْ جَرَّسُـــوهُ علـــيَّ مِـــنْ سَـــفَهٍ

لَقُلْـــتُ غَيْظـــاً عَلَيْـــهِ يِـــسْتَاهِلْ

طَـــالَ بِـــي شَـــوْقٌ إِلـــى وَطَنِـــي

وَالـــشَّوْقُ دَاءٌ لاَ ذُقْتَـــهُ قَاتِـــلْ

لاَ تَطْمَعُـــوا أَنْ أَكُـــونَ عِنْـــدكُمُ

فَـــذَاكَ مَـــالاَ يَرُومُـــهُ العَاقِـــلْ

وَبَعْـــدَ هَـــذَا فَمَـــا يَحِـــلُّ لَكُـــمْ

مِلْكِي فَـــإِنِي مِـــنْ سَـــيِّدِي حَامِـــلْ

لقد أفلح البوصيري في استدرار عطف "ناظر الشرقية" بهذه المعاني الساخرة ، فأعاد له الحمارة ، وسامحه فيما دفع فيها من دراهم .

الرثاء:

ويكتمل الحديث عن جوانب شاعرية البوصيري بذكر الرثاء ، ونورد منه هذه الأبيات التي قالها في تأبين الصاحب فخر الدين([1]) :

نَمْ هَنِيْئاً مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ
بِجَمِيْلٍ قَدَّمْتَ بَيْنَ يَدَيْكَا
لَمْ تَزَلْ عَوْنَنَا عَلَى الدَّهْرِ حَتَّى
غَلَبَتْنَا يَدُ المَنُوْنِ عَلَيْكَا
أَنْتَ أَحْسَنْتَ فِي الحَيَاةِ إِلَيْنَا
أَحْسَنَ اللهُ فِي المَمَاتِ إِلَيْكَا

بقى أن نقول لقد عرف القدماء فضل البوصيري ومكانته الشعرية ، فقال السيوطي : "من سبر شعره عرف مزيته" ، وقال ابن شاكر : "شعره في غاية الحسن واللطافة ، عذب الألفاظ ، منسجم التراكيب" ، وقال ابن العماد : "برع في

([1]) وهو الصاحب فخر الدين بن الصاحب بهاء الدين ، المشهور بابن حنا ، توفى سنة ٦٧٢هـ ، الديوان ، ص ٢٨٠ .

النظم ، قال فيه ابن سيد الناس : هو أحسن من الجزار والوراق"(1) .

(1) راجع : - السيوطي ، حسن المحاضرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١ ، القاهرة ١٩٦٧م ، م ١ ، ص ٥٧٠ .

- الديوان ، ص ٢٨٢ - ٢٩٢ .

- د. سلام ، محمد زغلول : الأدب في العصر المملوكي ، ط. دار المعارف ، القاهرة ١٩٧١م ، ج ١ ، ص ٢٦٥ .

خصائص شعره :

يتردد شعر البوصيري بين قوة الأسلوب وسهولته ، وعمق المعاني وقربها ، وحرارة العاطفة وفتورها ، وخصوبة الخيال وضموره .. فعناصر الشعر عنده غير مستقرة الخصائص ، إذ تختلف بين قصيدة وأخرى حسب اختلاف الباعث والموضوع ، وقد تختلف أيضا داخل القصيدة الواحدة ، وخاصة تلك القصائد الطوال التي اشتملت على عدة موضوعات .

فالعاطفة الصادقة التي تتجلى في المدائح النبوية ، والتي تصدر في معظمها عن حرارة الايمان ، وتظهر صدق التوجه في التعبير عن اللوعة القلبية نحو الرسول صلى الله عليه وسلم وتمجيد صفاته ، ووصف بطولات جنده الأبرار وتتبع أحداث سيرته العطرة ، إنما يتبعها جزالة في الألفاظ ورصانة في الأسلوب ، وجودة في المعاني وجمال في الصور والتشبيهات .

وهذا يمكن ملاحظته بسهولة في الكثير من نماذج المدح النبوي التي سبق ذكرها ، وللتأكيد على ذلك نورد هذه الأبيات

التي تدل على براعة البوصيري في وصف جند رسول الله صلى الله عليه وسلم(1) :

كَأَنَّما الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ
بِكلِّ قَرْمٍ إلى لَحْمِ العِدَا قَرِمِ(2)
يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيْسٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ
يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الأَبْطَالِ مُلْتَطِمِ(3)
مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ للهِ مُحْتَسِبٍ
يَسْطو بِمُسْتَأْصِلٍ للكُفْرِ مُصْطَلِمِ
حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الإسْلامِ وَهْيَ بِهِمْ
مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِها مَوْصُوْلَةَ الرَّحِمِ
هُمُ الجِبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ
مَاذَا رَأَى مِنْهُمُ فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ
وَسَلْ حُنَيْناً وَسَلْ بَدْراً وَسَلْ أُحُداً
فُصُوْلُ حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهَى مِنَ الوَخَمِ(4)

---

(1) الديوان ، ٢٤٦ .

(2) القَرْم : السيد ، والقَرِم بالتحريك شدة الشهوة للحم ، وفيها جناس .

(3) الخميس : الجيش ، السابحة : الخيل .

(4) الوخم : الوباء .

المُصْدِرِي البِيْضَ حُمْراً بعدَما وَرَدَتْ

مِنَ العِدا كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ(١)

يعكس هذا الأنموذج براعة البوصيري في تخير ألفاظه، لتتناسب مع المعاني التي يريد التعبير عنها ، إنَّها الألفاظ الجزلة ، ذات الإيقاع الصوتي الشديد ، الذي يتناسب مع ضجيج المعركة ، إذ يسمعنا رنين حروفها جلبة المعركة ، قبل أن تنقلنا معانيها وأخيلتها لتتبع مشاهد تلك المعركة وتحركات الجند فيها ..

أما إذا انتقل البوصيري إلى الدعابة والسخرية ، فإنَّ لكل مقام مقالاً ، حيث تتجلى سهولة لفظه ، وسماحة تراكيبه ، وقرب معانيه ، وخفة ظله ، وسماحة عشرته ، من ذلك مثلا ما يبدو في قوله(٢) :

مَا فِي الزَّمَانِ جَوَادٌ

يُرْجَى لِدَفْعِ العَظَائِمْ

ولاَ لِنَيْلِ مُرَادٍ

ولاَ لِبَذْلِ المَكَارِمْ

---

(1) البيض : السيوف – اللّمم : جمع لمة ، وهي الشعر إذا تجاوز الأذن .

(2) الديوان ، ٢٥٦ .

سِـــــوَاكَ يَـــا خَيـــرَ وَالٍ
يُـــدْعَى وِيَـــا خَيـــرَ حَـــاكِمْ
انْظُـــــرْ بِحَقِّـــــكَ حَـــالِي
فَأَنْـــــتَ بِالحَـــالِ عَالِـــــمْ
إِنَّ العمـــــــادَ أَرَانَـــــــا
بِأَنَّـــــهُ اليَـــوْمَ صَـــــائِمْ
ولَـــــيسَ يَرْجُـــــو ثَوَابـــــاً
وَلاَ يَخَـــــــافُ مَـــــــآثِمْ
ولَـــــيسَ يَخْفَـــــى عَلَيْـــــه
أَنْ لاَ صِـــــيَامَ لِظَـــــالِمْ
وَصَـــــوْمُنَا فـــــي اتِّبَـــــاعٍ
لَـــــهُ صِـــــيَامُ البَهـــــائِمْ
فَخُـــــذْ لَنَـــــا اليَـــــوْمَ مِنْـــــهُ
غَـــــدَاءَنَا وَهْـــــوَ رَاغِـــــمْ

إن سهولة اللفظ لم تخل بفصاحته ، وإنَّما تقربه من الروح الشعبية التي تألف الألفاظ اللينة ، وتنسجم مع الأساليب السهلة التي لا يحار الفكر في فهمها .

وفي النقد التهكمي هو أكثر إجادة في سبك معانيه وتخير ألفاظه اللينة وتراكيبه السهلة التي تتناسب مع أفهام عامة

الشعب ، وهو أكثر براعة في ستر مشاعره الساخطة بغطاء رقيق من التندر والسخرية ، ففي قوم حكم عليهم بأن تحلق نصف لحية كل منهم نراه يقول([1]) :

ثُــمَّ قَــالوا عَــنْ ذُقُــونٍ حُلِقَــتْ

قُلْــتُ لا بُــدَّ لَهــا أَنْ تُخْلَفَــا

إنَّ حَلْــقَ الــذَّقْنِ خَيْــرٌ لِلفَتَــى

يَا بَنِــي الأَعْمَــامِ مِــنْ أَنْ تُنْتَفَــا

وَالــذي حَلَــقَ أَنْــصَافَ اللِّحَــى

كَانَ فــي الأَحْكَــامِ عَــدْلاً مُنْــصِفَا

حَلَــقَ النِّــصْفَ بِــذَنْبٍ حَاضِــرٍ

وَعَفَــا بِالنِّــصفِ عَمَّــا سَــلَفَا

لقد رصد البوصيري الحدث ، وراح يتهكم من جور ذلك الحاكم ، فجعل حلق اللحية خيرا من نتفها ، وكأنه بذلك يشير إلى ما كان يتوقع من مثل ذلك الحاكم ، ثم جعل حلق النصف خيراً من حلقها كلها ، وكأنه يومئ إلى تنكيل الحاكم بهم ، وجعلهم مادة للسخرية والضحك ، وفي تبريره لفعلة ذلك الحاكم لم يخف البوصيري سخطه وسخريته من فعلته ، إذ

([1]) الديوان ، ١٧٥ .

جعل حلق النصف دليلا على عدم الإفراط في العقوبة ، وابقاء النصف الآخر دليلا على العفو والتسامح !!

أما من حيث بناء القصيدة ، فقد لاحظنا عزوف البوصيري عن مجاراة القدماء في السير على عمود القصيدة العربية ، فالمقدمة الطللية بمكوناتها – الوقوف على الطلل وذكر المحبوبة ووصف الرحلة – تكاد تختفي في الكثير من قصائده ، وقد لاحظ البوصيري ذلك فبرره أحياناً بمثل قوله([1]):

مدْحُ النَّبيِّ أَمانُ الخَـائفِ الوَجِـلِ
فَامْدَحهُ مُرْتَجِلاً أَوْ غَيْـرَ مُرْتَجِـلِ
ولاَ تُـشَبِّبْ بِأَوْطَـانٍ ولاَ دِمَـنٍ
ولا تُعَـرِّجْ عَلَـى رَبْـعٍ ولاَ طَلَـلِ

([1]) الديوان ، ص ٢٣٣ . ومن مبررات البوصيري في التخلي عن النسيب نذكر أيضاً قوله :

إذا امْتَـدَحْتُ نَـسِيْباً مِـنْ سُـلالَتِه
فَهو النَّسِيْبُ لِمَـدْحِي سَـيِّدَ الرُّسُـلِ

وقوله :

مَـالِي ولِلْعُـشَّاقِ أَتْبَـعُ مِـنهمُ
أُممـاً تَـضِلُّ عَـنِ الرشـادِ مُظلَّلـة

الديوان ، ص ٢٣٤ .

وَصِفْ جَمَالَ حَبِيْــبِ اللهِ مُنْفَــرِداً
بِوَصْفِهِ فَهْوَ خَيْرُ الوَصْفِ وَالغَــزَلِ

وما دمنا بصدد الحديث عن ابتداءات قصائد البوصيري، فإنه تجدر الإشارة إلى حسن ابتداءات قصائده ، حيث تشهد له الكثير من تلك القصائد بجودة المطلع وبراعة الاستهلال([1])، حتى ليُخيَّل لي أنَّه أخذ بقول ابن رشيق : "فإن الشعر قفل أوله مفتاحه ، وينبغي للشاعر أنْ يُجَوِّد ابتداء شعره، فإنه أول ما يقرع السمع ، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة"([2]) . وقد أشاد السابقون ببعض تلك الابتداءات ، من ذلك - مثلا - قول السيوطي([3]) : "ومن سبر شعره علم مزيته ، وما أحسن قوله في افتتاح ديوانه :

كَتَبَ المَشِيْبُ بِأَبْيَضٍ فِــي أَسْــوَدِ
بُغْضَاً ما بَيْنِي وَبَــيْنَ الخُــرَّدِ([4])

([1]) انظر أمثلة ذلك في : الديوان ، ص ٤٩ ، ٨٣ ، ٨٩ ، ١٠٣ .

([2]) القيرواني ، الحسن بن رشيق (ت ٥٦٣ هـ/ ١١٦٨م) : العمدة في صناعة الشعر ونقده ، ط. أمين هندية ، القاهرة ١٩٢٥م، ج ١، ص ١٤٥ .

([3]) الأدب في العصر المملوكي ٢٦٦/١ .

([4]) البيت مطلع قصيدة يمدح فيها أبا العباس المرسي . انظر : الديوان،١١٧.

أما المقريزي فقد دلل على جودة ابتداءات البوصيري بحديثه عن اكتفاء ممدوح البوصيري بقوله في مطلع القصيدة :

عَمَّــــرْتَ مَدْرَسَــــةً ومارَسْـــتَانَا

لِتُــــصَحِّحَ الأَدْيَـــانَ وَالأَبْــــدَانَا

حيث قال : ".. فقال له – أي الممدوح – حسبك في هذا كفاية . ولم يسمع تتمة القصيدة استحساناً للبيت ، وظل يومه كله ينشده ويترنم به ، وأجزل جائزته ، وهي كلها –أي القصيدة – طنانة.."(1).

وكما وُفِّق البوصيري باختيار مطالع قصائده ، فإنه قد أدهشنا بمقدرته الفائقة على الانتقال من النسيب إلى المدح(2) حتى لا نكاد نشعر أنه انتقل إلى موضوع آخر ، حيث تمتزج

---

(1) الديوان ، ص ٢٨٩ .

(2) ويسمى ذلك البلاغيون حسن الخروج ، وبراعة التخلص ، وفي تبيين مزيته قال ابن أبي الأصبع : "وقد ذهب أصحاب الإعجاز إلى أنه وجه الإعجاز ، وهو دقيق في عين الغبي خفي يخفى على غير الحذاق مــن ذوى النقــد ، وهو مثبوت في الكتاب العزيز من أوله إلى آخره .." .

– ابن أبى الأصبع ، زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد (ت ٦٥٤هـــ) : تحرير التحبير ، تحقيق د. حفني محمد شرف ، ط. القاهرة ، ١٣٨٣ هـــ ، ص ٤٣٣ .

معاني النسيب بمعاني المدح بلطف ومهارة ، ومن أمثلة حسن الخروج قوله(1) :

وَلأَبْكِيَنَّ عَلَى زَمَانٍ فَاتَنِي
مِنْكُمْ بِعَيْنَيْ عُرْوَةَ بنِ حِزَامِ
وَلأَهْدِيَنَّ إلى الوَزِيْرِ وآلِهِ
دُرَّ المَدائحِ في أَجَلِّ نِظَامِ

وقوله(2) :

حَقٌّ مَنْ كانَ لَهُ حُبُّ سَلْمَى
شُغُلاً أنْ يَسْتَلِذَّ العَذَابا
ولِمَنْ يَمْدَحُ خَيْرَ البَرَايَا
أنْ يَرَ الفقرَ عَطَاءً حِسَابَا

وننهي الحديث عن خصائص شعر البوصيري بتتبع أثر البيئة في شعره ، وتبين أهم ما يميزه في هذا الجانب ، ونبدأ بالحديث عن أثر البيئة الزمانية . فقد عاش البوصيري في عصر الصراع العقائدي والحروب الدينية ، وقد تجلى أثر ذلك الصراع في معاني وموضوعات شعره ، ففي قصيدته "المخرج والمردود" ناقش التزييف والتحريف الذي أصاب العقيدة

(1) انظر : - تحرير التحبير ، ص ٤٣٣ - الديوان ، ص ٢٥٠ .
(2) الديوان ، ٧٨ .

المسيحية ، ودحض مزاعم النصارى وأثبت فساد اعتقادهم . وفي قصائده الكثيرة التي تنتقد مستخدمي الدولة ، بين انحراف سلوك النصارى وسوء خلقهم ، وفي مدائحه النبوية قابل كل ما سبق بتمجيد العقيدة الإسلامية والإشادة بفضائل النبي صلى الله عليه وسلم وأمجاده ، هذا بالإضافة إلى ما يلاحظ من انتشار المعاني الدينية في معظم قصائده ، فإذا امتدح أميراً فانه يمتدحه بتقواه ومواقفه الشجاعة في التصدي لأعداء الدين والأمة([1]) ، وإذا مدح صديقا فانه يمتدحه لصلاحه وتقواه ، وأمثلة ذلك كثيرة في شعره([2]) .

أما البيئة المكانية فقد تركت بعض بصماتها على صور وتشبيهات البوصيري ، ومن نافلة القول أن البوصيري – الذي لم يبرح مصر إلاّ للحج – تنقل في أرجاء القطر المصري ، ففي الإسكندرية اقترب من البحر واطلع على فنون الصيد وأدواته ، وفي الشرقية شاهد الريف المصري واطلع على حياة الفلاحين ، وفي القاهرة شاهد النيل بقناطره وجسوره ، كما شاهد الأهرام وغيرها من المعالم المصرية ، وقد انعكست كل

([1]) وقد ورد الكثير من الأمثلة فيما قدمناه عن شاعرية البوصيري ، راجع مثلاً ما قاله في مدح السلطان قلاوون .

([2]) انظر مثلاً : الديوان ، ٢٥٣ .

هذه المعالم على صفحات شعره • فمن ذلك – مثلا – قوله في تشبيه ثقل همومه(1) :

أَصْبَحْتُ مِنْ حَمْلِي هُمُومَهُمُ عَلَى

هَرَمِي كَأَنِّي حَامِلُ الأَهْرَامِ

ومنه تشبيه سوء خُلُق بطانة الممدوح بالدلو الذي لا يتقرب من البئر إلاّ حين يكون خاليا من الماء(2) :

يَصُدُّ عَنْكَ إِذَا اسْتَغْنَى بِجَانِبِهِ

وَلاَ يَزُورُكَ إِلاَّ حِينَ يَفْتَقِرُ

كَأَنَّهُ الدَّلْوُ يَعلو حِينَ تَمْلَؤُهُ

مَاءً وَيُفْرِغُ مَا فِيهِ فَيَنْحَدِرُ

وفي تصوير قصور همة الذي ينازعه الشعر تبدو بعض ملامح البيئة البحرية بحيواناتها المائية ، من ذلك ما نراه في قوله(3):

وَشِعْرِي بَحْرٌ لاَ يُوافِيهِ ضِفْدَعٌ

وَلاَ يَقْطَعُ الرَّعَادُ يَوْماً لَهُ لُجَّا

(1) الديوان ، ص ٢٥٥ ، وفي البيت جناس بين كلمتي : هرمي والأهرام .

(2) الديوان ، ص ١٤١ .

(3) الديوان ، ص ٢٧٧ ، وفي كلمة "الرعاد" تورية ، فهي اسم لنوع من السمك، وهي اسم المهجو ، وهو الشاعر زين الدين الرعاد .

وفي تصوير مقدرته الشعرية نرى أيضاً بعض ملامح تلك البيئة(١) :

لَنْ يَصِيْدَهُنَّ النَّوَالُ مِنْ بَحْرِ فِكْرِي

أَوَ يُـــصْطَادُ الـــدُّرُّ بِالـــسِّنَّارَه ؟

ومن صور البيئة المصرية في شعر البوصيري نورد هذه الأبيات التي تبين اهتمام ممدوحه بالزراعة والمزارعين ، حيث حفر الترع ، وأقام الجسور على النيل ، وعدل في توزيع المياه على الأراضي الزراعية ، هذا ما يتضح في قوله(٢) :

وأَقْبَلْتَ تُحْي الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها

وَفِي الجُوْدِ مَا يُحْي المَوَاتَ وَيَنْشُرُ

فَأَخْرَجْتَ مَرْعَاها وَأجْرَيْتَ مَاءَهَــا

غَدَاةَ بِحَارُ الأَرْضِ أَشْــعَثُ أَغْبَــرُ

وَلَوْلاَكَ مَا رَاعَتْ بُحُــوْراً تُرَاعُهَــا

وَلاَ كَانَ مِنْ جِسْرٍ عَلى المَاءِ يُجْسَرُ

فَهَا هِيَ تَحْكِي جَنَّةَ الخُلْــدِ نُزْهَــةً

وَمِــنْ تَحْتِهَــا أَنْهَارُهَــا تَتَفَجَّــرُ

---

(1) الديوان ، ص١٣٣ ، والضمير في يصيدهن يعود على القوافي .

(2) السابق ، ١٦١ .

وأُعْطِيْتَ سُلْطَاناً عَلَى المَاءِ عَالِيــاً
به يَزْخَرُ البَحْرُ الخِـضَمُّ ويُـسْجَرُ
فَيَا صَالِحاً في قِسْمَةِ المَاءِ بَيْـنَهُم
ولاَ نَاقَةٌ في أَرْضِـهِمْ لَـكَ تُعْقَـرُ
فَهَـذَا لَــهُ وَقْــتٌ وَحَـدٌّ مُعَــيَّنٌ
وَهَـذَا لَــهُ حَـدٌّ ووَقْــتٌ مُقَــدَّرُ

ويبدو أثر الثقافة التي كانت منتشرة في تلك البيئة واضحا في شعر البوصيري ، فولوع الشعراء في عصره بالزركشة اللفظية(١)، والمحسنات البديعية نرى الكثير من شواهده فيما سبق ذكره من ألوان شعر البوصيري(٢) ، ومباهاة الشعراء بمعارفهم العروضية والنحوية نرى صداها في مثل قوله(٣) :

سَــيِّدِي لا تَخَــفْ عَلَــيَّ خُرُوْجـاً
فِي عَرُوْضِـي فَفِطْنَتِـي مَوْزُوْنَــهْ

---

(1) لم نلحظ اهتمام البوصيري – كبعض شعراء عصره – بالأشكال الشعرية المستحدثة ، كالتشجير ، أو الألغاز ، أو سوات القوافي .. وغيرها ، وكل ما وجدناه هو قصيدة محبوكة الطرفين ، وفيها التزم أيضا بذكر اسم محمد صلى الله عليه وسلم في مطلع كل شطر من أبياتها .
– انظر : القصيدة المحمدية . الديوان ، ص٢٧٤ .

(2) وقد أشرنا إلى بعض نماذج ذلك في ذيل بعض الصفحات .

(3) الديوان ، ٢٧٧ .

كُلُّ بَحْرٍ إِنْ شِئْتَ فِيهِ اخْتَبِرْنِي

لا تُكَذِّبْ فَإِنَّنِي يَقْطِينَهْ

وفي قوله (1) :

خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالإِضَافَةِ إِذْ

نُودِيتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ المُفْرَدِ العَلَمِ(2)

واستخدامه للمصطلحات الدينية ، وتضميناته من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة أكثر من أن تحصى ، وهذا أمر طبيعي عندما يتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ورسالته ، وسيرته الشريفة ، ومن استخدامه لمصطلحات علم الحديث ما نراه في قوله(3) :

لَمْ يَأْتِ فِيهِ مُفْرِطٌ وَمُفَرِّطٌ

بِالحَقِّ تَجْرِيحاً وَلاَ تَعْدِيلا(4)

---

(1) الديوان ، ٢٤٥ .

(2) بالإضافة إلى مقامك ، والرفع : الارتفاع ، وفيه تورية برفع الإعراب عند النحاة .

(3) الديوان ، ١٧٦ .

(4) مفرِط : مبالغ ، مجاوز للحد – مفرّط : مقصر ، وفرّط في الشيء ضيعه وقدم العجز فيه . وبين مفرط ومفرط جناس ناقص ، وفي معناهما طباق .

وفي ضرب الرمل وقراءة الطالع التي أشار أكثر من شاعر إلى انتشارها في تلك البيئة قال البوصيري([1]) :

وَلَلَهْفِي وَلِعْتُ بِالضَّرْبِ فِي الرَّمْـــــ
ــــلِ لأَحْظَــى بِأَسْــعَدِ الأَشْــكالِ

وقال في الدعاء لممدوحه([2]) :

لاَ زِلْتَ طُولَ الدَّهرِ تَحْكي فِي العُلا
آبَــاءَكَ الغُــرَّ الكِــرامَ الــشُّوسَا
مَــا دَامَ يَتبَــعُ النُّجُــومَ مُــنَجِّمٌ
وَيُخَبِّــرُ التَّثْلِيْـــثَ وَالتَّسْدِيْـــسَا

([1]) الديوان ، ٢٣٧ .
([2]) السابق ، ١٧٣ .

ملحق :

قصيدة البردة

أَمِـــنْ تَــذَكُّرِ جيـــران بِـــذي سَــلَمِ

مزَجْتَ دَمْعاً جرَى من مُقلَةٍ بِـدَمِ([1])

أم هَبَّتِ الــريحُ مــن تِلْقــاءِ كاظِمَــةِ

وأومَضَ البرقُ في الظلماءِ من إضَمِ

فَما لِعَيْنَيْـكَ إنْ قُلْــتَ اكْفُفَــا هَمَتَــا

وَما لِقَلْبِـك إنْ قُلْــتَ اسْــتَفِقْ يَهِــمِ

أَيَحْـسَبُ الــصَّبُّ أنّ الحُــبَّ مُنْكَــتِمٌ

ما بينَ مُنْسَجِمٍ مِنْــهُ ومُــضْطَرِمِ([2])

لولاَ الهَوَى لمْ تُرِقْ دَمعاً علـــى طَلَــلِ

ولا أَرِقْــتَ لِــذِكرِ البَــانِ والعَلَــمِ([3])

([1]) ذو سلم : موقع بالحجاز .

([2]) المنسجم صفة الدمع السائل ، والمضطرم صفة القلب المشتعل بالحب .

([3]) البان : جمع بانة وهو ضرب من الشجر ، العلم : جبل فرد شرقي الحاجر يقال له أبــان ، فيه نخل وفيه واد .

فكيفَ تُنْكِرُ حُبّاً بعدَ ما شَهِدَتْ

بهِ عليكَ عدولُ الدَّمْعِ والسَّقَمِ

وَأَثْبَتَ الوجْدُ خَطَّىْ عَبْرَةٍ وضَنىً

مِثْلَ البَهارِ على خَدَّيْكَ والعَنَمِ(١)

نَعَمْ سرَى طَيفُ مَنْ أَهْوَى فأَرَّقني

والحُبُّ يَعْتَرِضُ اللذَّاتِ بالأَلمِ

يا لائِمي في الهوَى العُذْرِيِّ مَعذِرَةً

منِّي إليكَ ولو أنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ

عَدَتْكَ حالِيَ لا سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ

عَنِ الوُشاةِ وَلا دائِي بِمُنْحَسِمِ(٢)

مَحَّضْتَني النُّصْحَ لكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ

إنَّ المُحِبَّ عَنِ العُذَّالِ في صَمَمِ(٣)

إنِّي اتهَمْتُ نَصيحَ الشَّيْبِ في عَذَلٍ

والشَّيْبُ أبعَدُ في نُصحٍ عنِ التُّهَمِ

فإنَّ أَمَّارَتي بالسُّوءِ ما اتَّعَظَتْ

مِنْ جَهلِها بنَذيرِ الشَّيْبِ والهَرَمِ(٤)

---

(1) البهار : ورد أصفر . العنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء تشبه بها البنان المخضوبة .

(2) عدتك : تجاوزتك . منسجم : منقطع .

(3) محضتني النصح : أخلصته .

(4) الأمَّارة بالسوء هي النفس .

ولا أعدَّتْ من الفِعْلِ الجَميلِ قِرَى
ضَيفٍ أَلمَّ برأسي غيرَ مُحْتَشِمِ
لو كنتُ أعلمُ أنّي ما أوقِّرُهُ
كَتَمْتُ سِرّاً بدَا لِي منه بالكَتَمِ([1])
مَنْ لِي بِرَدِّ جِماحٍ مِنْ غَوايتِها
كما يُرَدُّ جِماحُ الخَيلِ باللُّجُمِ
فلا تَرُمْ بالمعاصِي كَسْرَ شَهوتِها
إنَّ الطعامَ يُقَوِّي شَهْوَةَ النَّهِمِ
والنَّفْسُ كالطِّفْلِ إنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ على
حُبِّ الرَّضاعِ وإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ
فاصْرِفْ هَواها وَحاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَهُ
إنَّ الهَوَى ما تَوَلَّى يُصْمِ أوْ يَصِمِ
وَراعِها وهْيَ في الأعمالِ سائمَةٌ
وإنْ هِيَ استَحْلَتِ المَرْعَى فلا تُسِمِ([2])
كَمْ حَسَّنَتْ لَذَّةً لِلْمَرْءِ قاتِلَةً
مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أنَّ السُّمَّ في الدَّسَمِ

([1]) في البيت جناس ناقص بين : كتمت وبالكتم ، والأولى بمعنى أخفى ، والثانية اسم نبات يخضب به كالحناء .

([2]) السوم : الرعي في العشب المباح .

وَاخْشَ الدَّسائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شِبْعٍ

فَـرُبَّ مَخْمَـصَةٍ شَـرٌ مِـنَ الـتُّخَمِ

واسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قد امْـتَلأَتْ

مِنَ المَحـارِمِ والْـزَمْ حِمْيَـةَ النَّـدَمِ

وخالفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطانَ واعْـصِهِما

وإنْ هُما مَحَّـضاكَ النُّـصْحَ فَـاتَّهِمِ

ولا تُطِعْ منهمـا خَـصْماً ولا حَكَمـاً

فأنْتَ تَعْرِفُ كَيْـدَ الخَـصْمِ والحَكَـمِ

أسْتَغْفِرُ اللهَ مِـنْ قَـوْلٍ بِـلاَ عَمَـلٍ

لقد نَـسَبْتُ بِـه نَـسْلاً لِـذِي عُقُـمِ

أمَرْتُكَ الخَيْرَ لكنْ مـا ائْتَمَـرتُ بِـهِ

وما اسْتَقَمْتُ فما قَوْلي لَـكَ اسْـتَقِمِ

ولا تَـزَوَّدْتُ قبْـلَ المَـوْتِ نافِلَـةً

ولَمْ أُصَلِّ سِوَى فَـرْضٍ ولَـمْ أَصُـمِ

ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيـا الظَّـلامَ إلَـى

أنِ اشْتَكَتْ قَـدَماهُ الـضُّرَّ مِـن وَرَمِ

وشَدَّ مِـنْ سَـغَبٍ أحْـشاءَهُ وطَـوَى

تَحْتَ الحِجارةِ كَـشْحاً مُتْـرَفَ الأَدَمِ

وَرَاوِدَتْهُ الجِبـالُ الـشُّمُّ مِـنْ ذَهَـبٍ

عَـنْ نَفْـسِهِ فَأَرَاهـا أَيَّمـا شَـمَمِ

وَأَكَّـدَتْ زُهْـدَهُ فيهـا ضَـرُورَتُهُ

إِنَّ الضَّرُورَةَ لا تَعْدُو علـى العِـصَمِ

وكيفَ تَدْعُو إلى الدُّنيا ضَرُورَةُ مَنْ

لولاهُ لَمْ تُخْـرَجِ الـدُّنْيَا مِـنَ العَـدَمِ

مُحَمَّـدٌ سَـيِّدُ الكَـوْنَيْنِ والثَّقَلَـيْنِ

والفَرِيقَيْنِ مِنْ عُـرْبٍ ومِـنْ عَجَـمِ

نَبِيُّنَـا الآمِـرُ النَّـاهِي فَـلاَ أَحَـدٌ

أَبَرَّ في قَـوْلِ (لا) مِنْـهُ ولا (نَعَـمِ)

هُوَ الحَبِيبُ الـذي تُرْجَـى شَـفاعَتُهُ

لِكُـلِّ هَـوْلٍ مِـنَ الأَهْـوالِ مُقْـتَحَمِ

دَعَـا إِلَـى اللهِ فَالْمُسْتَمْـسِكُونَ بِـهِ

مُسْتَمْـسِكُونَ بِحَبْـلٍ غيـرِ مُنْفَـصِمِ

فاقَ النَّبِيِّينَ في خَلْـقٍ وفـي خُلُـقٍ

ولَـمْ يُـدانُوهُ فـي عِلْـمٍ ولا كَـرَمِ

وَكُلُّهُـمْ مِـنْ رَسُـولِ اللهِ مُلْـتَمِسٌ

غَرْفاً مِنَ البَحْرِ أَوْ رَشْفاً مِـنَ الـدِّيَمِ

وواقفـــونَ لَدَيْـــه عِنْــدَ حَـــدِّهِمِ

مِنْ نُقْطَةِ العِلْمِ أوْ مِنْ شَـكْلَةِ الحِكَـمِ

فهْــوَ الــذي تَــمَّ معنــاهُ وصُــورَتُه

ثمَّ اصْطَفاهُ حَبِيْبـاً بَـارِئُ النَّــسَمِ(١)

مُنَــزَهٌ عَــنْ شَــرِيكٍ فــي مَحَاسِــنِه

فَجَوْهَرُ الحُسْنِ فِيــه غَيْـرُ مُنْقَـسِمِ

دَعْ ما ادَّعَتْهُ النَّــصارَى فــي نبيِّهِم

واحكُمْ بما شِئْتَ مَدْحاً فيــه واحْــتَكِمِ

وانْسُبْ إلى ذَاتِهِ مَا شِئتَ مِنْ شَــرَفٍ

وانْسُبْ إلى قَدْرِه ما شِئْتَ مِنْ عِظَـمِ

فإنَّ فَــضْلَ رَسُــولِ اللهِ لَــيْسَ لَــهُ

حَدٌّ فَيُعْرِبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ

لَــوْ نَاسَــبَتْ قَــدْرَهُ آيَاتُــهُ عِظَمــاً

أحْيَا اسْمُهُ حِيْنَ يُدْعَى دارِسَ الرِّمَمِ

لَمْ يَمْتَحِنَّـا بِمَـا تَعْيَـا العُقُــولُ بِــه

حِرْصاً عَلَيْنا فَلَمْ نَرْتَبْ ولَمْ نَهِمِ(٢)

([1]) النسم : وهي جمع نسمة ، وهي الإنسان .

([2]) لم نهم : لم نضل .

أَعْيَا الورَى فَهْمُ مَعْنَاهُ فَلَـيْسَ يُـرَى
في القُرْبِ والبُعْدِ فيْهِ غيْرُ مُنْفَحِمِ
كالشَّمْسِ تَظْهَرُ للعَيْنَـيْنِ مِـنْ بُعْـد
صَغِيرةً وَتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ
وكيفَ يُـدْرِكُ فـي الـدُّنْيَا حَقِيقَتَـهُ
قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بِالحُلُمِ
فَمَبْلَـغُ العِلْـمِ فِيْـهِ أَنَّـهُ بَـشَرٌ
وأَنَّـهُ خَيْـرُ خَلْـقِ اللهِ كُلِّهِـمِ
وَكُلُّ آيٍ أتَـى الرُّسْـلُ الكِـرَامُ بِهَـا
فإنَّما اتَّـصلَتْ مِـنْ نُـورِهِ بِهِـمِ
فإِنَّهُ شَـمْسُ فَـضْلٍ هُـمْ كَوَاكِبُهَـا
يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّـاسِ فِـي الظُّلَـ
أَكْـرِمْ بِخَلْـقِ نَبِـيٍّ زَانَـهُ خُلُـقٌ
بِالحُـسْنِ مُـشْتَمِلٍ بِالبِـشْرِ مُتَّسِمِ
كالزَّهرِ في تَرَفٍ والبَدْرِ فـي شَـرَفٍ
والبَحْرِ في كَرَمٍ والـدَّهْرِ فِـيْ هِمَـمِ
كَأَنَّـهُ وَهْـوَ فَـرْدٌ مِـنْ جَلالَتِـهِ
فِيْ عَسْكَرٍ حِيْنَ تَلْقَـاهُ وَفِـيْ حَـشَمِ

كَأنَّمَا اللُّؤْلُؤُ المَكْنُــونُ فِــيْ صَــدَفٍ
مِنْ مَعْــدِني مَنْطِــقٍ مِنْــهُ وَمُبْتَســمِ
لاَ طِيْبَ يَعْـدِلُ تُرْبــاً ضَــمَّ أعْظُمَــهُ
طُــوبَى لِمُنْتَــشِقٍ مِنْــهُ وَمُلْتَــثِمِ(١)
أَبَانَ مَوْلِــدُهُ عَــنْ طِيْــبِ عُنْــصُرِهِ
يَا طِيْبَ مُبْتَدَإٍ مِنْهُ وَمُخْتَتَمِ
يَــوْمٌ تَفَــرَّسَ فِيْــهِ الفُــرْسُ أَنَّهُــمُ
قَدْ أُنْذِرُوا بِحُلُوْلِ البُؤْسِ وَالنِّقَمِ
وَبَاتَ إِيْوَانُ كِسْرَى وَهُــوَ مُنْــصَدِعٌ
كَشَمْلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرَ مُلْتَئِمِ
وَالنَّارُ خَامِدَةُ الأَنْفَــاسِ مِــنْ أَسَــفٍ
عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِيَ العَيْنِ مِنْ سَدَمِ(٢)
وَسَاءَ سَــاوَةَ أَنْ غَاضَــتْ بُحَيْرَتُهَــا
وَرُدَّ وَارِدُهَا بِالغَيْظِ حِيْنَ ظَمِي(٣)
كَأَنَّ بِالنَّــارِ مَــا بِالمَــاءِ مِــنْ بَلَــلٍ
حُزْناً وَبِالمَاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمِ

(1) طوبى من الطيب قلبوا الياء واوا لضمة ما قبلها ، والمنتشق : من يشمه ، والملتثم : من يقبله .

(2) ساهي : ساكن ، السدم : الحزن .

(3) ساوة : مدينة في بلاد فارس بين همذان والري .

والجِـنُّ تَهْتِـفُ وَالأَنْـوَارُ سَـاطِعَةٌ
والحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنًى ومِـنْ كَلِـمِ
عَمُوا وَصَمُّوا فَـإِعْلانُ البَـشائِرِ لَـمْ
تُسْمَعْ وبَارِقَةُ الإِنْـذَارِ لَـمْ تُـشَمِ[1]
مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَـرَ الأَقْـوَامَ كَـاهِنُهُمْ
بِـأَنَّ دِيـنَهُمُ المُعْـوَجَّ لَـمْ يَقُـمِ
وبَعْدَ مَا عَايَنُوا فِيْ الأُفْقِ مِنْ شُهُبٍ
مُنْقَضَّةٍ وِفْقَ مَا فِيْ الأَرْضِ مِنْ صَنَمِ
حَتَّى غَدَا عَنْ طَرِيقِ الوَحْيِ مُنْهَزِمٌ
مِنْ الشَّيَاطِيْنِ يَقْفُو إِثْرَ مُنْهَزِمِ
كَـأَنَّهُمْ هَرَبـاً أَبْطَـالُ أَبْرَهَـةٍ
أَوْ عَسْكَرٌ بِالحَصَى مِنْ رَاحَتَيْهِ رُمِي
نَبْـذاً بِـهِ بَعْـدَ تَـسْبِيحٍ بِبَطْنِهِمـا
نَبْذَ المُـسَبِّحِ مِـنْ أَحْـشاءِ مُلْـتَقِمِ
جَـاءَتْ لِدَعْوَتِـهِ الأَشْـجَارُ سَـاجِدَةً
تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَـى سَـاقٍ بِـلا قَـدَمِ
كَأَنَّمَا سَـطَرَتْ سَـطْراً لِمَـا كَتَبَـتْ
فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ الخَـطِّ فِـي اللَّقَـمِ

[1] تشم : تنظر .

مِثْـلَ الغَمامَــةِ أَنَّــى سَــارَ سـائِرَةٌ
تَقيهِ حَـرَّ وَطِـيْسٍ لِلْهَجِيْـرِ حَمِــي
أَقْــسَمْتُ بِــالقَمَرِ المُنْــشَقِّ أنَّ لَــهُ
مِنْ قَلْبِــهِ نِــسْبَةً مَبْــرُوْرَةَ القَــسَمِ
وَمَا حَوَى الغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِــنْ كَــرَمِ
وَكُلُّ طَرْفٍ مِنَ الكُفَّــارِ عَنْــهُ عَمِــي
فَالصِّدْقُ فِيْ الغَارِ والصِّدِّيْقُ لَمْ يَرِمَا
وَهُمْ يَقُوْلُوْنَ مَا بِالغَــارِ مِــنْ أَرِمِ(١)
ظَنُّوا الحَمَامَ وظَنُّوا العَنْكَبُــوْتَ عَلَــى
خَيْرِ البَرِيَّةِ لَــمْ تَنْــسُجْ ولَــمْ تَحُــمِ
وِقَايَــةُ اللهِ أغْنَــتْ عَــنْ مُــضَاعَفَةٍ
مِنَ الدُّرُوْعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الأُطُــمِ(٢)
مَا سَامَنِي الدَّهْرُ ضَيْماً واسْتَجَرْتُ بِهِ
إلاَّ وَنِلْــتُ جِــوَاراً مِنْــهُ لَــمْ يُـضَمِ
ولا الْتَمَسْتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِــنْ يَــدِهِ
إلاَّ اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْــرِ مُــسْتَلَمِ

(1) لم يرما : لم يبرحا . وأرم على وزن كتف : العلم والأثر .
(2) الأطم : الحصون .

لا تُنْكِرِ الوَحْيَ مِـــنْ رُؤْيَـــاهُ إِنَّ لَـــهُ
قَلْباً إذا نامَـــتِ العَيْنَـــانِ لَـــمْ يَـــنَمِ(1)
وَذَاكَ حِـــيْنَ بُلُـــوْغٍ مِـــنْ نُبُوَّتِـــهِ
فَلَيْسَ يُنْكَـــرُ فيـــهِ حَـــالُ مُحْـــتَلِمِ(2)
تَبَـــارَكَ اللهُ مَـــا وحْـــيٌ بِمُكْتَـــسَبِ
وَلا نَبِـــيٌّ عَلَـــى غَيْـــبٍ بِمُـــتَّهَمِ
كَمْ أبْـــرَأَتْ وَصِـــباً بِـــاللَّمْسِ رَاحَتُـــهُ
وأَطْلَقَتْ أرِباً مِـــنْ رِبْقَـــةِ اللَّمَـــمِ(3)
وأحْيَـــتِ الـــسَّنَةَ الـــشَّهْبَاءَ دَعْوَتُـــهُ
حَتَى حكَتْ غُرَّةً فِي الأَعْصُرِ الدُّهْمِ(4)
بِعارِضٍ جَادَ أَوْ خِلْـــتَ البِطَـــاحَ بِهـــا
سَيْبٌ مِنَ اليَمِّ أَوْ سَيْلٌ مِنَ العَـــرِمِ(5)
دَعْنِي وَوَصْفِي آيَـــاتٍ لَـــهُ ظَهَـــرَتْ
ظُهُوْرَ نَارِ القِرَى لَـــيْلاً عَلَـــى عَلَـــمِ

(1) يقول : إن رؤيا النبي في المنام هي وحي من عند الله .
(2) المحتلم الذي يرى الحلم في النوم ، فحلم النبي كما يقول وحي لا ينكر .
(3) الوصب : المريض . والأرب : المحتاج . والربقة أصلها الحبل . واللمم : الجنون .
(4) السنة الشهباء : المجدبة .
(5) البطاح : جمع أبطح ، وهو مسيل الماء. والسيب : الجرى . العرم : الوادي .

فالدُّرُّ يَزْدادُ حُسْناً وَهْوَ مُنْتَظِمٌ

ولَيْسَ يَنْقُصُ قَدْراً غَيْرَ مُنْتظِمِ

فَمَا تَطَاوَلَ آمَالُ المَدِيْحِ إلى

مَا فِيْهِ مِنْ كَرَمِ الأَخْلاقِ والشِّيَمِ

آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثَةٌ

قَدِيْمَةٌ صِفَةُ المَوْصُوْفِ بِالقِدَمِ(١)

لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهْيَ تُخْبِرُنَا

عَنِ المعادِ وعَنْ عادٍ وعَنْ إرَمِ

دامَتْ لَدَيْنا فَفاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ

مِنَ النَّبِيِّينَ إذا جَاءَتْ ولَمْ تَدُمِ

مُحكَّمَاتٌ فَمَا تُبْقِيْنَ مِنْ شُبَهٍ

لِذِي شِقَاقٍ ومَا تَبْغِيْنَ مِنْ حَكَمِ

ما حُورِبَتْ قَطُّ إلاَّ عَادَ مِنْ حَرَبٍ

أَعْدَى الأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِيَ السَّلَمِ

رَدَّتْ بَلاغَتُهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا

رَدَّ الغَيُورِ يَدَ الجَانِي عَنِ الحُرَمِ

لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ البَحْرِ فِي مَدَدٍ

وفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الحُسْنِ والقِيَمِ

---

(١) محدثة : إنزالها محدث .

فمَـــا تُعَــدُّ ولاَ تُحْــصَى عَجَائِبُهـــا
ولاَ تُــسَامُ علَــى الإِكْثَــارِ بالـــسَّأمِ

قَرَّتْ بِهَا عَـيْنُ قاريهـا فقُلْـتُ لـهُ
لقَــدْ ظَفِــرْتَ بِحَبْــلِ اللهِ فَاعْتَــصِمِ

إن تَتْلُها خيْفَةً منْ حَـرِّ نَـارِ لَظًـى
أَطْفَأْتَ نَارَ لَظًى منْ ورْدِهَـا الـشَّبِمِ

كَأَنَّهَا الحَوْضُ تَبْـيَضُّ الوجُـوهُ بِـهِ
مِنَ العُصَاةِ وَقَـدْ جَـاءُوهُ كَـالحُمَمِ

وكالـــصِّراطِ وكـــالميزَانِ مَعْدِلَـــةً
فَالقِسْطُ منْ غَيْرِهَا في النَّاسِ لَمْ يَقُـمِ

لا تَعْجَــبَنْ لِحَــسُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَـــا
تجاهُلاً وَهْوَ عَــيْنُ الحَــاذِقِ الفَهِـمِ

قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ
ويُنْكِرُ الفَمُ طَعْـمَ المَـاءِ مِـنْ سَـقَمِ

يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّـمَ العَـافُونَ سَـاحَتَهُ
سَعْياً وَفَوْقَ مُتُونِ الأَيْنُقِ الرُّسُـمِ(١)

وَمَنْ هُــوَ الآيَــةُ الكُبْــرَى لِمُعْتَبِــرٍ
وَمَنْ هُوَ النِّعْمَــةُ العُظْمَــى لِمُغْتَــنِمِ

---

(١) العافون : طلاب الرزق . والأينق : النياق . والرسم : التي ترسم الأرض : أي تعلمها .

سَرَيْتَ مِنْ حَـرَمٍ لَـيْلاً إلَـى حَـرَمِ
كما سَرَى البَدْرُ في داجٍ مِـنَ الظُّلَـمِ

وَبِتَّ تَرْقَـى إلَـى أنْ نلْـتَ مَنْزلَـةً
مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَـمْ تُـرَمِ

وَقَـدَّمَتْكَ جَمِيْـعُ الأَنْبِيَـاءِ بِهـا
والرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْـدُومٍ عَلَـى خَـدَمِ

وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ الـسَّبْعَ الطِّبَـاقَ بِهِـمْ
فِيْ مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيْـهِ صَـاحِبَ العَلَـمِ

حَتى إذا لَـمْ تَـدَعْ شَـأْواً لِمُـسْتَبِقٍ
مِـنَ الـدُّنُوِّ وَلاَ مَرْقَـىً لِمُـسْتَنِمِ([1])

خَفَـضْتَ كُـلَّ مَقَـامٍ بِالإِضَـافَةِ إذْ
نُوْدِيْتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ المُفْـرَدِ العَلَـمِ([2])

كَيْمَـا تَفُـوزَ بِوَصْـلٍ أيِّ مُـسْتَتِرٍ
عَـنِ العُيُـونِ وَسِـرٍّ أيِّ مُكْتَـتِمِ

فَحُـزْتَ كُـلَّ فَخَـارٍ غَيْـرَ مُـشْتَرَكٍ
وَجُـزْتَ كُـلَّ مَقَـامٍ غَيْـرَ مُـزْدَحَمِ

([1]) المستنم : طالب الرفعة إلى السنام ، وهو أعلى شيء .

([2]) بالإضافة إلى مقامك . والرفع الارتفاع وفيه تورية برفع الإعراب عند النجاة .

وَجَلَّ مِقْدَارُ مَـا وُلِّيْـتَ مِـنْ رُتَـبِ
وَعَزَّ إدْرَاكُ مَـا أُوْلِيْـتَ مِـنْ نِعَـمِ
بُشْرَى لَنَا مَعْـشَرَ الإسْـلامِ إنَّ لَنَـا
مِـنَ العِنَايَـةِ رُكْنَـاً غَيْـرَ مُنْهَـدِمِ
لَمَّـا دَعَـا اللهُ دَاعِيْنَـا لِطَاعَتِـهِ
بِـأَكْرَمِ الرُّسْـلِ كُنَّـا أكْـرَمَ الأُمَـمِ
رَاعَتْ قُلُـوبَ العِـدَا أنْبَـاءُ بِعْثَتِـهِ
كَنَبْـأَةٍ أَجْفَلَـتْ غُفْـلاً مِـنَ الغَـنَمِ
مَـا زَالَ يَلْقَـاهُمُ فِـي كُـلِّ مُعْتَـرَكٍ
حَتى حَكَوْا بِالقَنَا لَحْماً عَلَى وَضَمِ([1])
وَدُّوا الفِـرَارَ فَكَـادُوا يَغْبِطُـونَ بِـهِ
أَشْلاءَ شَالَتْ مَـعَ العِقْبَـانِ وَالـرَّخَمِ
تَمْضِي اللَّيَـالِي وَلا يَـدْرُوْنَ عِـدَّتَها
مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيالِي الأَشْـهُرِ الحُـرُمِ
كَأَنَّمَا الـدِّيْنُ ضَـيْفٌ حَـلَّ سَـاحَتَهُمْ
بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَـى لَحْـمِ العِـدَا قَـرِمِ([2])

([1]) الوضم : كل خشبة يقطع عليها اللحم .

([2]) القرم : السيد . والقرم : بالتحريك شدة الشهوة إلى اللحم .

يَجُرُّ بَحْــرَ خَمِــيْسٍ فَــوْقَ سَــابِحَةٍ

يَرْمِي بِمَوجٍ مِنَ الأبطَــالِ مُلْــتَطِمِ(١)

مِــنْ كــلِّ مُنْتَدِبٍ للهِ مُحْتَــسِب

يَسْطو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلكُفْــرِ مُــصْطَلِمِ(٢)

حتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الإِسْلامِ وَهْــيَ بِهِــمْ

مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَــا مَوْصُــولَةَ الــرَّحِمِ

مَكْفُولَــةً أَبَــداً مِــنْهمْ بِخَيْــرِ أَبٍ

وَخَيْرِ بَعْلٍ فَلَمْ تَيْــتَمْ وَلَــمْ تَــئِمِ(٣)

هُمُ الجِبَالُ فَــسَلْ عَــنْهُمْ مُــصَادِمَهُمْ

مَاذَا رَأَى مِنْهُمُ فــي كــلِّ مُــصْطَدَمِ

وسَلْ حُنَيْناً وَسَلْ بَــدْراً وَسَــلْ أُحُــداً

فُصُول حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهَى مِنَ الوَخَمِ(٤)

المُصْدِرِي البِيضَ حُمْراً بَعْدَ مَا وَرَدَتْ

مِنَ العِدَا كُلَّ مُسْوَدٍّ مِــنَ اللِّمَــمِ(٥)

---

(1) السابحة : الخيل .

(2) المنتدب : المجيب .

(3) التأيم : فقدان الزوج .

(4) الوخم : الوباء .

(5) اللمم : جمع لمة ، وهي الشعر إذا جاوز الأذن .

وَالكَاتِبِيْنَ بِسُمْرِ الخَــطِّ مَــا تَرَكَــتْ

أَقْلامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْــرَ مُــنْعَجِمِ

شَاكِي السِّلاحِ لَهمْ سِــيْمَى تُمَيِّــزُهُمْ

والوَرْدُ يَمْتَازُ بالسِّيمَى عَنِ السَّلَمِ(١)

تُهْدِي إِلَيكَ رِيَــاحُ النَّــصْرِ نَــشْرَهُمُ

فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ فِي الأَكْمَامِ كلَّ كَمِــيِ

كأنَّهم في ظُهُورِ الخَيْــلِ نَبْــتُ رُبًــا

مِنْ شِدَّةِ الحَزْمِ لا مِنْ شِدَّةِ الحُزُمِ(٢)

طارَتْ قلوبُ العِدَا من بَأْسِهِمْ فَرَقًــا

فَمَا تُفَرِّقُ بَــيْنَ الــبَهْمِ والــبُهَمِ(٣)

ومَنْ تَكُــنْ بِرَسُــولِ اللهِ نُــصْرَتُهُ

إِنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ فِــيْ آجَامِهَــا تَجِــمِ

ولَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غَيْــرَ مُنْتَــصِرٍ

بِهِ وَلاَ مِنْ عَدُوٍ غَيْــرَ مُنْقَــصِمِ(٤)

أَحَــلَّ أُمَّتَــهُ فِــيْ حِــرْزِ مِلَّتِــهِ

كاللَّيْثِ حلَّ مَعَ الأَشْــبَالِ فِــيْ أَجَــمِ

---

(١) السيمى : العلامة . والسلم : نوع من الشجر .

(٢) الحزم : قوة الثبات . والحزم جمع حزام : وهي ما يشد به سرج الفرس ونحوها .

(٣) البهم جمع بهمة : وهي السخلة . والبهم جمهع بهمة ، وهي الشجاع .

(٤) المنقصم : المنقطع .

كَمْ جدَّلَتْ كلِمَـاتُ اللهِ مِـنْ جَـدِلٍ

فيْهِ وكَمْ خَصَمَ البُرْهَانُ منْ خَصِمِ(١)

كَفاكَ بِالْعِلْمِ فِـي الأُمِـيِّ مُعْجِـزَةً

فِي الجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيْـبِ فِـي اليُـتُمِ

خَدَمْتُـــهُ بِمَـــدِيْحٍ أَسْـــتَقِيلُ بِـــهِ

ذُنُوْبَ عُمْرٍ مَضَى فِي الشِّعْرِ والخِدَمِ

إذْ قَلَّـدانِيَ مـــا تُخْـشَى عَواقِبُـــهُ

كَأَنَّنِي بِهِمـا هَـدْيٌ مِـنَ الـنَّعَمِ

أَطَعْتُ غَيَّ الصِّبَا فِي الحَالَتَيْنِ وَمَا

حَصَلْتُ إلاَّ عَلَى الآثَامِ والنَّدَمِ

فَيَا خَسَارَةَ نَفْـسٍ فِـي تِجَارَتِهَـا

لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسُمِ

وَمَـنْ يَبِـعْ آجِـلاً مِنْـهُ بِعَاجِلِـه

يَبِنْ لَهُ الغَبْنُ فِي بَيْعٍ وفِي سَـلَمِ(٢)

إنْ آتِ ذَنْباً فما عَهْـدِي بِمُنْـتَقِضٍ

مِـنَ النَّبِـيِّ ولا حَبْلِـي بِمُنْـصَرِمِ

([1]) جدل : صرع . والجدالة : الأرض . والجدل : كثير الجدال . خصمة غلبـة . والخـصم : شديد الخصومة .

([2]) السلم في البيع هو البيع المؤجل الدفع .

فَـإنَّ لِـي ذِمَّـةً مِنْـهُ بِتَـسْمِيَتِي
مُحمَداً وَهو أوْفَى الخَلْـقِ بالـذِّمَمِ
إنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادي آخِذاً بيَدِي
فَضْلاً وإلاّ فَقُـلْ يَـا زَلَّـةَ القَـدَمِ
حَاشَاهُ أَنْ يَحْرِمَ الرَّاجِـي مَكَارِمَـهُ
أَوْ يَرْجِعَ الجارُ مِنْهُ غَيْـرَ مُحْتَـرَمِ
ومُنْـذُ أَلزَمْـتُ أَفْكَـارِي مَدائِحَـهُ
وَجَدْتُـه لِخَلاصِـي خَيْـرَ مُلتَـزِمِ
ولَنْ يَفُوتَ الغِنَي مِنْهُ يَـداً تَرِبَـتْ
إنَّ الحَيَا يُنْبِتُ الأَزْهَارَ فِي الأَكَمِ(١)
ولَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا التِي اقتطَفَـتْ
يَدَا زُهَيْرٍ بِمَـا أَثْنَـى عَلَـى هَـرِمِ
يَا أَكْرَمَ الرُّسْلِ مَا لِي مَنْ أَلوذُ بِـهِ
سِوَاكَ عِنْدَ حلولِ الحَادِثِ العَمِـمِ(٢)
ولَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللهِ جَاهُكَ بِـي
إذَا الكَرِيْمُ تَحَلَّى بِاسْـمِ مُنْـتَقِمِ(٣)

---

(١) تربت : افتقرت . والأكم جمع أكمة : وهي الربوة .

(٢) الحادث العمم : يوم القيامة ، لأن هوله يعم الخلق .

(٣) تحلى : اتصف . والمنتقم : من أسماء الله .

فَإِنَّ مِنْ جُـودِكَ الـدُّنْيَا وضَـرَّتَهَا

وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللّوْحِ والقَلَـمِ([1])

يَا نَفْسُ لاَ تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَـتْ

إِنَّ الكَبَائِرَ فِـي الغُفْـرَانِ كَـاللَّمَمِ

لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّـي حِـيْنَ يَقْـسِمُهَا

تَأْتِي عَلَى حَسَبِ العِصْيَانِ فِي القِسَمِ

يَا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ

لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمِ([2])

والطُفْ بِعَبْدِكَ فِي الـدَّارَيْنِ إِنَّ لَـهُ

صَبْراً مَتَى تَدْعُـهُ الأَهْـوَالُ يَنْهَـزِمِ

وَائْذَنْ لِسُحْبِ صَلاَةٍ مِنْـكَ دَائِمَـةٍ

عَلَـى النَّبِـيِّ بِمُنْهَـلٍّ وَمُنْـسَجِمِ([3])

مَا رَنَّحَتْ عَذَبَاتِ البَانِ رِيْحُ صَـبًا

وأَطْرَبَ العِيْسَ حَادِي العِيْسِ بِالنَّغَمِ([4])

([1]) ضرة الدنيا : هي الآخرة .

([2]) المنخرم : المنقطع .

([3]) المنهل : السائل بشدة . والمنسجم : السائل بهدوء ورفق .

([4]) رنحت : أمالت . وغذبات البان : أغصانه . والعيس : الإبل البيض .

المصادر والمراجع

- ابن أبى الأصبع ، زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد (ت ٦٥٤هـ) : تحرير التحبير ، تحقيق د. حفني محمد شرف ، ط. القاهرة ، ١٣٨٣ هـ .
- ابن العماد ، عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، طبعة القاهرة ١٣٥١هـ .
- ابن تغري بردى ، أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١٩٦٣ – ١٩٧٢ .
- ابن كثير ، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) : البداية والنهاية ، مطبعة المعارف ، بيروت .
- أحمد بدوي : الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ، ط، الثانية ، دار نهضة مصر .
- البوصيري (ت ٦٩٥هـ/١٢٩٥م) : الديوان ، تحقيق محمد سيد كيلاني ط٢ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧٣م .
- ديوان أحمد شوقي ، طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت .

- سلام ، محمد زغلول : الأدب في العصر المملـوكي ، ط. دار المعارف ، القاهرة ١٩٧١م .
- السيوطي ، جلال الدين عبـد الـرحمن بـن أبـي بكـر (ت٩١١هـ/١٥٠٩م) : حسن المحاضرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة الحلبي ، القاهرة ١٣٠١هـ .
- السيوطي ، حسن المحاضرة ، تحقيق محمد أبـو الفـضل إبراهيم ، ط ١ ، القاهرة ١٩٦٧م .
- القيرواني ، الحسن بن رشيق (ت ٥٦٣ هـ/ ١١٦٨م) : العمدة في صناعة الشعر ونقده ، ط. أمين هندية ، القـاهرة ١٩٢٥م .
- الكتبي ، محمد بن أحمد (ت ٤٦٧هـ/١٣٦٢م) : فـوات الوفيات ، طبعة بولاق ، القاهرة ١٢٨٣هـ .
- مبارك ، زكي : المدائح النبوية في الأدب العربي ، طبعـة دار الشعب ، مصر ، ١٩٧١م .
- نبيل أبو علي : الأدب المملوكي والعثماني ، الطبعة الثانية، مطبعة دار الوحدة ، رام الله ١٩٨٤م .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
أما قبل	٥
تعريف	٧
شاعرية البوصيري	١٥
- المدائح النبوية	١٥
- تفنيد مزاعم اليهوذ والنصارى	٣٣
- النقد الاجتماعي	٤٣
- المدح	[illegible]
- الوصف	٦٣
- الغزل	٧١
- الدعابة والسخرية	٧٤
- الرثاء	٧٦
خصائص شعره	٧٨
ملحق "قصيدة البردة"	٩٣
المصادر والمراجع	١١٣

المؤلف في سطور

- أستاذ الأدب والنقد في الجامعة الإسلامية بغزة .
- نائب رئيس مجمع اللغة العربية الفلسطيني .
- تقلب في العديد من المناصب العلمية والإدارية منذ عمله في الجامعة الإسلامية عام ١٩٨٢م ، منها :
• عميد البحث العلمي ٩٧/٨/٢٠ - ١٩٩٩/٨/٢٠م .
• عميد الدراسات العليا والبحث العلمي ٩٣/٩/١٢ - ١٩٩٧/٨/٢٠م
• عميد كلية الآداب ٨٩/١٢/١٤ - ١٩٩٣/٩/١٢م.
• عميد شئون الطلبة ٨٥/٥/٦ - ١٩٨٧/٣/٢٤م .
• رئيس قسم اللغة العربية ٨٣/٥/١٦ - ١٩٨٩/١٢/١٤م .
- نشر العديد من المقالات والبحوث في الصحف والمجلات الأكاديمية المختصة ، المحلية والعربية .
- شارك في العديد من الندوات والمؤتمرات العربية والدولية ، وأشرف على الكثير من بحوث الماجستير والدكتوراه .
- صدر له العديد من الكتب ، منها :
▪ في مرآة الثقافة الفلسطينية ، المقداد للطباعة ، غزة ٢٠٠٤م.
▪ في نقد الأدب الفلسطيني ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ٢٠٠١م.
▪ شاعرات عصر الإسلام الأول – دراسة نقدية ، الطبعة الثانية ، دار الحرم للتراث ، القاهرة ٢٠٠١م .
▪ نزار قباني شاعر المرأة والسياسة ، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٩م .
▪ عناصر الإبداع الفني في شعر عثمان أبو غربية ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ١٩٩٩م .
▪ نقد النثر في تراث العرب النقدي ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ١٩٩٣م .
▪ محاضرات في الأدب المملوكي ، مطبعة الوحدة ، رام الله ١٩٨٤م .
▪ مختارات من الشعر الجاهلي ، مطبعة بنديس ، الخليل ١٩٨٣م

دار المقداد للطباعة – غزة . م. الشاطئ ت ٢٨٢١٣٥٨